كلية البنات الإسلامية
بأسيوط
المجلة العلمية

منهــج السيــوطي
في
تذوق بلاغة النَّص الشعري
(كُنْه المُرَاد في بَيَان بَانَتْ سُعَاد.. مِثالاً)

إعـــداد
د/ صلاح أحمد رمضان حسين
أستاذ البلاغة والنقد المساعد فى كلية البنات الإسلامية بأسيوط

العدد الخامس عشر . الجزء الثانى ٢٠١٦م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠١٦/٦١٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي لا خَيرَ إلا منه، ولا فضلَ إلا من لدنه، الحمدُ لله الذي أقل نعمه يستوجب الشكر، والصلاةُ والسلامُ على أفصح العرب لسانًا، وأوضحهم بيانًا، وأعذبهم نطقًا، وأسدِّهم لفظا، وأقومهم حجة، وأهداهم إلى الصراط المستقيم، سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإنَّ مما اتُّهِمت به بلاغة المتأخرين عموما، والسيوطي خاصة؛ الجمود والعقم والتقليد. وهذا – لعمري – من أراجيف المستغربين وأباطيلهم التي ما فتئت الأبواق المُغيَّبة تجترها وترددها من حين لأخر في الأوساط العلمية والثقافية، وقد خُدِع بأكاذيبهم كثير من العقول المثقفة وطلبة العلم؛ حتى رأينا دخول بعضٍ من هذه الأكاذيب إلى مقررات الدرس ومناهج العلم.

وفي هذا السياق تأتي هذه الدراسة، وعنوانها: (منهج السيوطي في تذوق بلاغة النص الشعري) ردًّاً ماديًّا عمليا؛ لدحض هذه الهَرْطَقَات، وإثباتًا موثقا لبلاغة السيوطي الذوقية، وإبرازًا لمعالم منهجه التطبيقي في تذوق بلاغة النص الشعري من خلال شرحه وقراءته لنص أدبي رفيع وهو " بانت سعاد" لكعب بن زهير– τ–.

وإنّ القارئ في شرح السيوطي لهذه القصيدة؛ ليدرك بجلاء معالم منهجيته، ويقف بقوة على رؤية بلاغية متكاملة، وذائقة أدبية رائقة في تلمس أسرار النص واستكناه جمالياته؛ مما ينم عن وعيٍ متفرد بأبعاد النص الشعري فاق به من سبقه من الشراح.

وقد انتظم هذا المنهج في عدة معالم تمثل خطة البحث ومباحثه، على النحو الآتي:

المبحث الأول: بلاغة التأويل الدلالي وأبعاده الجمالية.

ويشتمل على المحاور الأتية:

١. تأويل دلالة الألفاظ والتراكيب.

٢. تأويل دلالة الروايات المختلفة.

٣. تأويل دلالة المعنى: (معنى المعنى)

المبحث الثاني: بلاغة النظم الترتيبي وأبعاده الجمالية.

ويشتمل على المحاور الأتية:

١. تحقيق المقصود الأعظم للنص (المعنى الأم)

٢. التناسب بين المقاصد الكلية.

٣. التناسب بين المعاقد أو السياقات الجزئية.

٤. التناسب والتعالق بين الأبيات.

٥. التناسب بين الجمل.

المبحث الثالث: بلاغة النظم التركيبي وأبعاده الجمالية.

ويشتمل على المحاور الأتية:

١. بلاغة المفردة.

٢. بلاغة الجملة.

٣. بلاغة الجمل.

٤. بلاغة الصورة البيانية.

٥. بلاغة الألوان البديعية.

وقد سبق هذه المباحثَ مقدمةٌ تضمنت حديثا موجزا عن التعريف بالإمام السيوطي، وكتابه: " كنه المراد "، ثم أعقبها خاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

واعتمدتْ الدراسةُ على شرح " بانت سعاد " للسيوطي بتحقيق الدكتور: مصطفى عليّان، طبعة: مؤسسة الرسالة، بيروت؛ لأنها النسخة الوحيدة للشرح، وهي نسخة دقيقة ومستوفاة.

كما حرصتُ في بيان منهج السيوطي على الإكثار من نقل نصوصه؛ حتى يقفَ القارئُ على أسلوبه الرائق في تذوق النص وتحليله، وحتى تجمع الدراسة في منهجها بين الوصف والتحليل.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى الصراط المستقيم ،،،،

التمهيد

التعريف بالإمام جلال الدين السيوطي
وكتابه: (كنه المراد في بيان بانت سعاد).

التمهيد

أولًا: التعريف بالإمام جلال الدين السيوطي:

تـرجم السـيوطي لنفسـه فـي كتابيـه: (التحـدث بنعمـة الله) و(حسـن المحاضرة) ومما جاء فيهما:

اسمه ونسبه: **هو الإمام أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن بن كمال الدين أبي المناقب أبي بكر بن ناصر الدين بن سابق الدين أبي بكر بن فخر الدين عثمان بن ناصر الدين محمد ابن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي.** [١]**، قال السيوطي: " هكذا وجدت هذا النسب في صَدَاقٍ لابن عم والدي ".** [٢]

مولده: **ولد بالقاهرة في مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة للهجرة، ونشأ يتيمًا، فحفظ القرآن دون سن الثامنة، وشرع في التأليف سنة ست وستين وثمانمائة.** [٣]

علمه: **يقول السيوطي عن نفسه: " قد رُزِقْتُ– ولله الحمد– التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع على طريقة العرب البلغاء.... ودون هذه السبعة في المعرفة: أصول الفقه، والجدل، والتصريف، ودونها: الفرائض، والإنشاء، والترسل... ودون ذلك في**

---

[١] **التحدث بنعمة الله للسيوطي، ص٥، وانظر: حسن المحاضرة للسيوطي ٢٨٨/١، وراجع: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٨ / ٥١.**

[٢] **التحدث بنعمة الله، ص٥.**

[٣] **راجع: حسن المحاضرة ١ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩، وشذرات الذهب ٥١/٨.**

المعرفة: القراءات... ودونها في المعرفة: الطب، وأما الحساب فأعسر شيء عليَّ مع معرفتي به ". [1]

شيوخه: تتلمذ السيوطي . رحمه الله . على كبار علماء عصره، ومن أشهرهم: الشيخ علم الدين البلقيني، وشرف الدين المناوي، وتقي الدين الشبلي، والجلال المحلي، والحافظ ابن حجر، ومحيى الدين الكافيجي، وغيرهم. [2]

مؤلفاته وآثاره العلمية: أحصت كتب التراجم للسيوطي عددًا كبيرًا من الآثار العلمية في فنون شتى: تأليفًا، وشرحًا، وجمعًا، وتبويبًا، وترتيبًا، منها الرسالة ذات التعليقات الصغيرة المحددة بالورقة والورقات، ومنها الكتب الكبيرة ذات المجلدات.. وذكر السيوطي أن مؤلفاته قد بلغت ثلاثمائة كتاب سوى ما غسله ورجع عنه. [3]

وفاته: توفي الإمام السيوطي . رحمه الله . يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة في منزله بروضة المقياس بالمنيل. [4]

---

[1] التحدث بنعمة الله، ص٢٠٣ - ٢٠٤.

[2] راجع: حسن المحاضرة ١ / ٢٨٩ -٢٩٠ والتحدث بنعمة الله ص٧٠.

[3] راجع: حسن المحاضرة ١ / ٣٣٨.

[4] راجع: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، لنجم الدين الغزي ١ /٢٣١.

ثانيًا: التعريف بشرح السيوطي: (كُنْه المُرَاد في بَيَان بَانَتْ سُعَاد) :

حظيت قصيدة (بانت سعاد) أو (البردة) لكعب بن زهير ـ τ ـ [1] بشهرة واسعة، وعناية فائقة من الشعراء، والعلماء، والأدباء، والشارحين وغيرهم؛ لما تمتاز به من فحولة قائلها، وسمو غرضها، وشرف سماع النبي ε لها وإعجابه بها. [2]

وقد انبرى العلماء والأدباء والشارحون يغوصون في أعماقها، باحثين عن دررها في البلاغة، والنحو، والأدب، واللغة ... ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين تصدَّوا لها بالدراسة والتحليل الإمام جلال الدين السيوطي، في كتابه المسمى (كُنْه المُرَاد في بَيَانِ بانَتْ سُعَاد).

منهج السيوطي العام في شرح (بانت سعاد):

جاءت رواية السيوطي لقصيدة (بانت سعاد) في سبعة وخمسين بيتًا، وقد تطابقت روايته في عدد أبياتها، وتوالي ترتيبها مع رواية التبريزي (ت ٥٠٢هـ)، وابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، غير أنها تختلف عنهما في

---

[1] هو: أبو المطرف كعب بن زهير بن أبى سُلْمَى، بضم السين، واسمه ربيعة بن رياح بالراء المهملة والياء وحاء آخر الحروف، المزني، من مزنية بن أد بن طانجة بن إلياس بن مضر ابن معد بن عدنان... وكان كعب τ من فحول شعراء العرب المجيدين والمهرة المفلقين ". [الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٥٣/١، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ /١٠٣، تحقيق: محمود شاكر، وكنه المراد للسيوطي ص١٠٢ تحقيق د/ مصطفى عليان].

[2] راجع: قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي، د/ السيد إبراهيم محمد، ص٢٥ وما بعدها.

الرواية الداخلية بتغيير بعض الألفاظ أو التراكيب في الأبيات. [١]

أما عن منهج السيوطي العام، فقد قسم الشرح إلى: مقدمة، وتمهيد، وصلب، وقد بيَّن في المقدمة السبب في شرحه لقصيدة (بانت سعاد) وملامح منهجه العام، فقال: " لماَّ كانت قصيدة كعب بن زهير المعروفة ببانت سعاد، هي أنفس المدائح عِقْدًا، وأعلاها مقامًا، وأعذبها وردًا، وقد أُنْشِدَتْ بين يديه ε فنالت أعلى المفاخر، وقضت بالتقدم في الفضل على ما بعدها، وكانت الشروح الموضوعة عليها – فيما وقفت عليه – قاصرة على شرح غريبها وإعراب ألفاظها المؤدية إلى حَلِّ تركيبها دون التعرض لمعانيها التي هي قصد طلابها، وأعريت[٢] مقدمتي شرح غريبها وإعرابها، اقتضت ذلك إشارة بعض إخواني في الله تعالى ممن تُؤثر طاعته ولا يسع مخالفته، أن اقتضب عليها شرحًا يجمع إلى حل ألفاظها بيان معانيها، ويُقَرِّبُ ما بَعُد تناوله من ثمار مقاصدها المتراكبة لاقتطاف جانيها، فاستخرت الله تعالى وبادرت إلى ما أشار على الوجه الذى يقصد، والمعنى الذى يريد ... وسميته: (كنه المراد في بيان بانت سعاد) " . [٣]

وأما التمهيد، فقد جاء مستوعبًا لثلاثة مقاصد مهمة:

المقصد الأول: في ترجمة ناظمها τ ، وقد أشار فيه إلى شاعرية كعب وفصاحته، فقال: " كان كعب من فحول شعراء العرب المجيدين والمهرة

---

[١] راجع بعض هذه الاختلافات في: مقدمة كنه المراد، ص٢٣– ٢٤.

[٢] أعريت: جردت.

[٣] كنه المراد، ص٩٨، ٩٩.

المفلقين"[١] وهذا المقصد فيه إشارة إلى بلاغة النص، وعمق دلالته، وإحكام صنعته، ومنهجية الاختيار للنص دون غيره.

والمقصد الثاني: في سبب نظم القصيدة [٢]، وهذا منهج جيد في تحليل الشعر وتذوقه؛ لأنه يقوم على استدعاء السياق الخارجي والأحداث التاريخية المفسرة للمقاصد الداخلية في النص، كما أن " هذا المقصد له اتصال بمضامين النص الفكرية وقيمه النفسية " .[٣]

والمقصد الثالث: في بيان ترتيب القصيدة وسياقاتها التي سيقت عليها. [٤]، وهذا المسلك الذي انتهجه السيوطي في المقصد الثالث في غاية الأهمية؛ لأنه يكشف عن التناسب والتلاحم بين أجزاء النص ومعاقده وأغراضه. [٥]

وأمَّا صُلب الشرح، فقد كان منهج السيوطي فيه قائمًا على ذِكْرِ البيت الشعري مُفْردًا، ثم تفسير المفردات اللغوية وبيان دلالاتها المعجمية، ثم ذكر المعنى العام للبيت.

ولكنه في الغالب يعتمد مذهب (التأويل) أو (التوسع في المعنى)، وذلك بذكر أكثر من احتمال في معنى اللفظة، أو الجملة، وسيأتي تفصيل معالم هذا المنهج إن شاء الله تعالى في المبحث الأول.

وفى أثناء شرح البيت يركز كثيرًا على إبراز بلاغته وجمالياته من خلال

---

[١] كنه المراد، ص١٠٢.

[٢] السابق، ص١٠٣ وما بعدها.

[٣] مقدمة كنه المراد ص٣٥.

[٤] كنه المراد، ص١١١ وما بعدها.

[٥] سيأتي تفصيل معالم هذا المنهج في المبحث الثاني ـ إن شاء الله ..

الكشف عن أسرار التعبير بالألفاظ، والقيود والتفصيلات وغيرها من عناصر النظم، ويعتمد كذلك على إبراز التناسب المعنوي بين الجمل، والأبيات والسياقات في النص كلَّه.

وكان السيوطي كثيرَ الاستدلال بالشواهد التي تعزز الدلالة أو المعنى، وقد تنوعت الشواهد، فشملت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية، وغيرها.

وبالجملة " فقد شكَّل السيوطي رؤية متكاملة في تحليل القصيدة، حين دمج وعيه بمجرى النص، فأقام حوارًا مُنَوَّع المستويات، تفاعل فيه مع موضوعاته، فانتهى بالمعاني إلى دلالات منوعة ومقاصد متعددة، تنم عن وعيٍّ فردي مميز في تلقي النص واستكشاف آفاقه، والغوص إلى أعماقه، متجاوزًا بمنطلقاته من سبقه من الدارسين والشراح بجدارة واقتدار معجب".[١]

[١] مقدمة كنه المراد، ص٦٩.

المبحث الأول

(بلاغة التأويل الدلالي وأبعاده الجمالية)

* المحور الأول: تأويل دلالة الألفاظ والتراكيب.
* المحور الثاني: تأويل دلالة الروايات المختلفة.
* المحور الثالث: تأويل دلالة المعنى (معنى المعنى)

توطئة:

يُعَدُّ (التأويل الدلالي)[1] أو (التوسع في المعنى)[2] من أبرز

---

[1] **التأويل في اللغة: يدور معناه حول: التفسير، والرجوع، والتدبر أو التفقه، قال ابن منظور: " الأَوْلُ: الرجوع، آل الشيء يؤول أَوْلًا ومآلًا: رجع... وأَوَّلَ الكلام وتأوَّلَه: دبَّره وقدَّره، وأوَّله وتأوَّله: فسَّره، ومنه حديث ابن عباس: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل والمراد بالتأويل: نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما تُرِك ظاهر اللفظ. (راجع: لسان العرب " أول " ١١/٣٣).**

وقد تعددت تعريفات التأويل عند العلماء حسب البيئات العلمية، ويهمنا منها تعريف الإمام عبد القاهر الجرجاني، حيث قال: " هو أن تنقل الكلام في معناه عن صورة إلى صورة من غير أن تُغيِّر من لفظه شيئًا أو تحول كلمة من مكانها إلى مكان آخر " [دلائل الإعجاز ص٣٧٤ تحقيق: شاكر].

وعرفه السيوطي نقلًا عن الماتريدي، فقال: " التأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع " [الإتقان في علوم القرآن ٤ / ١٩٢].

وقد فرق العلماء بين التفسير والتأويل، فقد ذكر أبو هلال العسكري أن " التفسير هو الإخبار عن إفراد آحاد الجملة... والتأويل: الإخبار بمعنى الكلام، وقيل: التفسير: إفراد ما انتظمه ظاهر التنزيل، والتأويل: الإخبار بغرض المتكلم بكلام، وقيل: التأويل: استخراج معنى الكلام لا على ظاهره بل على وجه يحتمل مجازًا أو حقيقة". [الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ص٥٨].

فالتفسير جزء من عملية التأويل؛ لأن عملية التفسير تعني بشرح المفردات والألفاظ شرحًا لغويًا يؤدي إلى المعنى الظاهر من النص، كما أن التفسير فيه قطعية الدلالة، في حين أن التأويل ليست فيه هذه القطعية، وإنما يبقى الاحتمال متأرجحًا بحسب قوة الأدلة. [راجع: التأويل وآداؤه الوظيفي، د/ عماد عيد، ص١٤٨، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية العدد (٦) عام ٢٠٠٧].

[2] **التوسع في المعنى: عرفه ابن رشيق بقوله: " أن يقول الشاعر بيتًا يتسع فيه التأويل فيأتي كل واحد بمعنى، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته، واتساع المعنى " [العمدة ٢ /**

معالم المنهج عند السيوطي في شرحه لقصيدة (بانت سعاد)، وهذا التناول يتناسب مع المنهج الذى حدَّد أركانه، وبيَّن أبعاده في مقدمة الشرح، حيث قال: " وكانت الشروح الموضوعة عليها – فيما وقفت عليه – قاصرة على شرح غريبها، وإعراب ألفاظها المؤدية إلى حل تركيبها دون التعرض لمعانيها التي هي قصد طلابها، وأعريت [1] مقدمتي شرح غريبها وإعرابها، واقتضى ذلك... شرحًا يجمع إلى حل ألفاظها بيان معانيها ويُقرِّب ما بَعُد تناوله من ثمار مقاصدها المتراكبة لاقتطاف جانيها ". [2]

فهدف السيوطي من شرحه– كما وضحَّ – ينحصر في أمرين: أحدهما: بيان المعاني التي هي قصد طلابها، والآخر: تقريب ما بعُد تناوله من ثمار مقاصدها، وهذا الهدف يتلاءم تمامًا مع عنوان الشرح المسمى: (كنه المراد في بيان بانت سعاد).

ولمَّا كان كعب بن زهير " من فحول شعراء العرب المجيدين، والمهرة المفلقين " [3] وامتازت قصيدة (بانت سعاد) بالثراء المعنوي والدلالي، حيث إنها " أنفس المدائح عقدًا، وأعلاها مقامًا، وأعذبها وردًا، وقد أنشدت بين يديه ε

٩٣].. وعرفه ابن أبي الإصبع المصري، فقال: " أن يأتي الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قُوى الناظر فيه، وبحسب ما تحتمل ألفاظه" [تحرير التحبير ص٤٥٤].

فالداعي إلى التأويل عند ابن رشيق، وابن أبي الإصبع المصري، هو احتمال اللفظ للتأويل والتوسع، وهذا راجع لقوة نظم الشاعر، وقدرة الناقد أو المتلقي على استكناه المعاني المرادة أو المقاصد البعيدة، كما أن هذه الضوابط تعصم المتذوق من فوضى الدلالة.

[1] أعريت: جردت وخليت. (اللسان: عرى ١٩ / ٢٧٢).

[2] كنه المراد، ص٩٩.

[3] السابق، ص١٠٢.

فنالت أعلى المفاخر، وقضت بالتقدم في الفضل على ما بعدها " [1]؛ لمَّا كان ما سبق، اعتمد السيوطي في منهجه كثيرًا على التأويل للكشف عن المقاصد المُغَيَّبَة في النص، والإبانة عن أبعاد المعنى الشعري وقيمه الجمالية.

ولا شك أن " الكلام إذا كان قويًا من مثل هذا الفحل احتمل لقوته وجوهًا من التأويل بحسب ما تحتمل ألفاظه، وعلى مقدار قوى المتكلمين فيه، ولذلك قال الأصمعي: خير الشعر ما أعطاك معناه بعد مطاولة ". [2]

ثم إن التأويل ضرب من ضروب البلاغة، كما ذكر أبو حيان التوحيدي (ت ٣٧٦هـ)، حيث قال: " البلاغة ضروب: فمنها بلاغة الشعر، ومنها بلاغة الخطاب، ومنها بلاغة النثر، ومنها بلاغة المثل، ومنها بلاغة العقل، ومنها بلاغة البديهة، ومنها بلاغة التأويل... وأما بلاغة التأويل فهي التي تحوج لغموضها إلى التدبر والتصفح، وهذان يفيدان من المسموع وجوهًا مختلفة كثيرة نافعة، وبهذه البلاغة يُتَّسع في أسرار معاني الدين والدنيا، وهي التي تأوَّلها العلماء بالاستنباط من كلام الله –عز وجل – وكلام رسوله ε في الحرام والحلال والحظر والإباحة، والأمر والنهي، وغير ذلك مما يكثر، وبها تفاضلوا، وعليها تجادلوا، وفيها تناقشوا، ومنها استملوا، وبها اشتغلوا، ولقد فُقِدتْ هذه البلاغة لفقد الروح كله، وبطل الاستنباط أوله وآخره، وجولان النفس واعتصار الفكر إنما يكونان بهذا النمط في أعماق هذا الفن، وهاهنا تنثال الفوائد، وتكثر العجائب، وتتلاقح الخواطر، وتتلاحق الهمم، ومن أجلها يُستعان بقوى البلاغات المتقدمة بالصفات الممثلة حتى تكون معينة ورافدة في إثارة المعنى المدفون،

---

[1] كنه المراد ص٩٨ . ٩٩.

[2] تحرير التحبير ص٤٥٥.

وإنارة المراد المخزون " [١] .

وإذا كان التأويل بابًا من أبواب البلاغة التي تحقق الإفادة والإمتاع في آنٍ واحدٍ، وذلك من خلال الغوص في أعماق النص، والنظم، لاستكناه المقاصد والدلالات، والكشف عن الأسرار الدفينة؛ فإن هذا لا يتأتى إلا للعلماء الذين يمتلكون الأدوات والضوابط التي تعينهم على تأويل النص، وتذوقه، وفهمه، لتجنب الوقوع في فاسد التأويل وباطله.

وقد وضع الإمام عبد القاهر الجرجاني هذه الضوابط نصب عينيه، فقال: " لا بُدَّ لكل كلامٍ تستحسنه ولفظٍ تستجيده، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة، وعلة معقولة، وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل، وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل، وهو باب من العلم إذا أنت فتحته اطلعت منه على فوائد جليلة، ومعانٍ شريفة، ورأيت له أثرًا في الدين عظيمًا وفائدة جسيمة، ووجدته سببًا إلى حسم كثير من الفساد فيما يعود إلى التنزيل، وإصلاح أنواعٍ من الخلل فيما يتعلق بالتأويل"[٢]

والسيوطي عالم موسوعي، ذو ثقافة عالية ومتعددة، وقد أدرك عمق النظم وثراء الدلالة في (بانت سعاد)؛ ولهذا عمد إلى بلاغة التأويل، وجعله مَعْلَمَاً ومنهجًا رئيسًا في معالجته للنص... وقد تنوعت معالم هذا المنهج على عدة مستويات، سنتعرف عليها في الصفحات القادمة -إن شاء الله تعالى -.

---

[١] الإمتاع والمؤانسة ص٢٥٤ -٢٥٥

[٢] دلائل الإعجاز، ص٤١.

المحور الأول: تأويل دلالة الألفاظ والتراكيب.

اعتمد السيوطي – كثيرًا – في إبراز بلاغة (بانت سعاد) على التأويل الدلالي للألفاظ والتراكيب، والتوسع في المعاني، وهو ما يسمى بـ (انفتاح الدلالة) أو تعدد الدلالة، وكان توجيه السيوطي لهذه المعاني المتعددة مرتكزًا على أسس بلاغية أو سياقية [١]، وأحيانًا يعتمد على " استحضار النصوص الغائبة ذات الصلة بالأزمنة والأمكنة والأحداث والوقائع لمحاولة توظيف عالم النص الخارجي في القراءة الداخلية للأبيات ". [٢]

وقد يعتمد في ترجيح أحد المعاني على مراعاة التناسب اللفظي أو المعنوي، أو مراعاة الذوق والعرف العربي، وغير ذلك.

ولم يغفل السيوطي التعليل والتنظير لما يؤوله بالاستشهاد من القرآن الكريم، والحديث، والشعر، في تعزيز الدلالة.

وقد استوعب التأويل عند السيوطي في هذا المحور صورًا كثيرة شملت: الحروف والأدوات، والألفاظ المفردة، والصيغ، والجملة، وغيرها، وسنحاول ـ بإذن الله ـ أن نذكر شواهد لكل منها:

١ـ تأويل دلالة حروف المعاني والأدوات:

من الأدوات التي تأول السيوطي دلالتها: (لو) في قول كعب:

٦ـ أَكْرَمْ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ ∴ مَوعُودَهَا أو لَوَ انَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ

قال السيوطي: " و(لو) في كلامه تحتمل معنيين: أحدهما: أن تكون

---

[١] راجع: مقدمة كنه المراد ص ٤١.

[٢] السابق ص٥.

للتمني، كما في قوله تعالى: { فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً } [١]، والثاني: الشرط، كما في قوله تعالى: { وَلَوْ تَرَى إِذِ المُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ } [٢]، ويكون المعنى فيها: فيا ليتها صدقت موعودها لكانت خلة كريمة، أو: لو صدقت موعودها لتمت خلالُها ". [٣]

والسيوطي وإن لم يرجح أحد الاحتمالين صراحة، إلا أنه ألمح إلى ترجيح كونها للتمني، فقال: " ثم إن جَعلتَ (لو) في قوله (لو أنها صدقت موعودها) في التمني، فتقدير البيت: لو صدقت كان حُسْن الخلة ثابتًا لها في كل حال... وإن جعلت (لو) بمعنى الشرط، كان قد علَّق الأمر على صدقها الوعد ". [٤]

وكأن السيوطي يستبعد التأويل الثاني لدلالة (لو)؛ " لأنه لا يحسن بحال المحب تعليق كرم محبوبته على شرطٍ، ولاسيما شرط معلوم الانتفاء، وهو شرط (لو) ". [٥]

ومن الحروف التي تأوَّل السيوطي دلالتها:(مِنْ) وذلك في قول كعب:

١٤ــ ولن يُبلِّغُهَا إلا عُذَافِرَةٌ ∴ لها عَلى الأَيْنِ إرْقَالٌ وتَبْغِيلُ

١٥ـ مِن كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إذا عَرِقَتْ ∴ عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأعْلامِ مجهُولُ [٦]

---

[١] سورة الشعراء / ١٠٢.

[٢] سورة السجدة / ١٥.

[٣] كنه المراد ص١٨٨- ١٨٩.

[٤] السابق، ص١٩٦.

[٥] شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام ص١٤٩، تحقيق د/ عبد الله الطويل.

[٦] العذافرة: الصلبة. نضاخة: كثيرة السيلان، الذفرى: النقرة التي خلف أذن الناقة والبعير. طامس الأعلام: المراد به الطريق الدارس الذي محيت آثاره. (كنه المراد ص٢٥٧ ،

حيث جعل (مِنْ) في قولـه: (من كل نضاخة الزفرى) تحتمل تأويلين: أحدهما: أن تكون تبعيضية، والآخر: أن تكون لابتداء الغاية، فقال: " وقولـه: (من كل نضاخة الزفرى) أي: الناقة المذكورة من كل ناقة نضاخة بالعرق إذا عرقت، ثم هو يحتمل معنيين: إما أن يريد أنها ناقة من النياق المتصفة بهذه الصفة، وإما أن يريد أن أصل وجودها من كل ناقة هي كذلك، ويكون ذلك وصفًا لها، لأنه وصفها بكرم الأصل، وهذا هو الذى رجحه ابن هشام في إعرابه القصيدة " . [1]

ولا شك أن التأويل الثاني أرجح؛ لأن تعدد الوصف يناسب مقام الفخر والإعجاب بناقته ويتلاءم كذلك مع مقصد الشاعر في اختيار صفاتٍ خاصة في ناقته التي تمكنه من البلوغ إلى مكانها البعيد... وكأن الشاعر في البيت الأول وصف ناقته بأنها شديدة لا تكل بالتعب ولا يضعف سيرها بالإعياء، ثم وصفها في البيت الثاني بوصف آخر، وهو اهتمامها بالسير ومعرفتها بالطريق حتى أنها تجهد نفسها في السير فيسيل العرق من ذفرتيها.

(٢٦١ ، ٢٦٢)

[1] كنه المراد ص ١٦١.

٢ـ تأويل دلالة الضمير:

ومن شواهد هذه الصورة، قول كعب:

١٠ـ فَلا يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ ∴ إنَّ الأمَانيَّ وَالأحْلامَ تَضْلِيلُ

حيث وجَّه السيوطي دلالة الخطاب في قوله: (فلا يغرنك) ، فقال: " والخطاب في قوله: (فلا يغرنك) يحتمل وجهين: الأول: أن يكون خطابًا لكل أحد، كما يقال: فلان لئيم إن أكرمته أهانك، وإن أحسنت إليه أساء لك، لا يريد مخاطبًا بعينه، ومنه قوله تعالى: { وَلَوْ تَرَى إِذِ المُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ } [1]، إذ لم يجعل الخطاب فيه متوجهًا للنبي ε [2]، والثاني: أن يكون خطابًا لنفسه، وهذا تسميه أهل المعاني والبيان: التجريد، وهو أن يجرد من نفسه شخصًا ويوجه الخطاب إليه، كما في قول الأعشى مخاطبًا نفسه:

وَدِّعْ هريرةَ إنَّ الرَّكبَ مُرْتحلٌ ∴ وهلْ تطيقُ ودَاعَاً أيُّهَا الرَّجُلُ

وحينئذٍ فيكون فيه التفات من التكلم إلى الغيبة، ومن حيث إنه صدَّر الكلام في البيت الأول من القصيدة بصيغة التكلم، بقوله: (فقلبي اليوم متبول)، ثم رجع هنا من التكلم إلى الخطاب لنفسه، بقوله: (فلا يغرنك ما منت وما وعدت)؛ فيكون قد انتقل من التكلم إلى الخطاب، وهو نوع من الأنواع الستة المذكورة في أنواع البديع، أما إذا جعلنا قوله: (فلا يغرنك) خطابًا لغيره فلا التفات فيه حينئذ. [3]

---

(١) سورة السجدة / ١٢.

(٢) مذهب الزجاج وبعض العلماء أن خطاب النبي ε خطابٌ للخلق، بدليل قوله تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء). [راجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٤ / ٢٠٦].

(٣) كنه المراد ص٢٢٧ – ٢٢٨.

فالسيوطي اعتمد في تأويله وترجيحه على الأسس البلاغية والسياقية، فقد راعى القيمة البلاغية والجمالية لحمل الخطاب على التجريد، وما فيه من التفات يُغيِّر من نسق الكلام ويكسر التواتر والرتابة، ويدعو إلى تنشيط السامع ولفت انتباهه، كما راعى السيوطي توظيف الالتفات في الربط بين المعاني والأفكار وذلك بالنظر في السياق.

٣ـ تأويل دلالة الألفاظ المفردة:

والشواهد في هذه الصورة كثيرة جدًا، ومنها قول كعب:

٢ـ وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ∴ إلا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ[١]

فقد تأول السيوطي دلالة قوله: (غضيض الطرف)، وقوله: (مكحول) معتمدًا على مراعاة العرف ومناسبة الوصف الأبلغ للسياق والغرض، فقال: " قوله: (غضيض الطرف) يحتمل أمرين: أحدهما: أن يريد به كسر الجفون وفتورها على عادة الشعراء في مثل ذلك، الثاني: أن يريد به الحياء والخفر، وكلاهما مما يُمتدح به " [٢].

ثم وجَّه السيوطي الأثر البلاغي والجمالي المُتَرتِّب على كل وجه، فقال: " فإن حملناه على كسر الجفون وفتورها كان ذلك من باب الزيادة في الحسن والجمال، إذ النفوس تميل إلى ذلك في الغالب وترغب إليه، ولم تزل الشعراء في القديم والحديث تتغزل في ذلك، وقد قيل أغزل بيت قالته العرب قول جرير:

إنَّ العيونَ التي في طرفِهَا حَوَرٌ ∴ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِيْنَ قَتْلَانَا

---

[١] غضيض: بمعنى مغضوض، كذبيح بمعنى مذبوح ... والأصل في غض الطرف: ترك التحديق واستيفاء النظر.. والطرف: المراد به هنا العين. (كنه المراد ص١٤٠).

[٢] كنه المراد، ص١٤٠.

يصْرَعْنَ ذَا اللُّب حتى لا حِرَاكَ بِهِ ∴ وهنَّ أضعف خَلْقِ الله إنْسَانَا

وإنْ حملناه على الحياء والخفر كان أبلغ في ذلك؛ إذ الحياء مما يمتدح به عقلًا وشرعًا، وقد مدح الله تعالى الحور العين بقوله: (قاصرات الطرف عين) [1]، فأخبر بأنهن قاصرات الطرف مع كونهن عينا، إشارة إلى أن غض الطرف فيهن ليس لضعف في العيون ولا مرضٍ في الجفون" [2].

ولا شك أن المدح الحسي أو المعنوي لغض الطرف يتلاءم مع الغزل بالمحبوبة؛ ولهذا لم يرجح السيوطي أحد التأويلين على الآخر، وإنما سوى بينهما في إرادة القصد.

ويتأول السيوطي اسم المفعول (مكحول)، فيقول: "فإن جعلناه من الكَحَل الذي هو سواد جفون العينين من غير تَكَحُلٍ؛ فهو في غاية المدحة؛ لاستغنائه عن التكحيل، وقد جاء في وصفه ε: في عينيه كَحَلٌ [3]، وبالجملة فسواد العيون مما يستحسن وتميل إليه النفوس... بل هو أكمل من الحسن في فتور الجفون، وأعلى رتبة في الجمال، وأشد تأثيرًا في القلوب.

وإن جعلناه من التكحل بالإثمد لكونه يكسو العين سوادًا، فالذي يظهر أنه يريد انضمام ذلك إلى الكَحَل الخَلْقِيّ، لا أنَّ التكحل لفقد الكَحَلِ في العينين، فإن ذلك نقص في الحسن، وهو خلاف المعهود، ولله در القائل:

---

[1] الصافات / ٤٨.

[2] كنه المراد، ص١٤٦- ١٤٧.

[3] أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية ص٥٠ برقم ٤٨ من حديث علي (τ) في وصف رسول الله ε . [وراجع: هامش كنه المراد ص١٤٨].

زادت على كَحَلِ العيون تكحلا ∴ أَيُسَمَّ نصلَ السيف وهو قَتُولُ "[1]

ومن شواهد التأويل الدلالي للألفاظ، ما ورد في قول كعب:

١٣ـ أمْسَتْ سُعُادُ بِأَرْضٍ لا يُبَلِّغُهَا ∴ إلا العِتَاقُ النّجِيْبَاتُ المَرَاسِيلُ

حيث تأوَّل السيوطي دلالة (أمست)، ووَجَّه الدلالة توجيهًا بلاغيًا وسياقيًا، يدل على حسن تذوقه لمراد الشاعر، فقال: " قوله: (أمست) يحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون المراد دخلت في وقت المساء، فيكون مقابلًا لـ (غداة) في البيت الثاني من القصيدة: (وما سعاد غداة البين إذ رحلوا) ويكون المعنى: أنها ارتحلت غدوة، وأمست بأرض بعيدة، ويكون قد وصفها في رحيلها بسرعة السير، بحيث سارت في اليوم الواحد إلى مسافة لا تدرك إلا بالعناق النجيبات المراسيل من الإبل... الثاني: أن يكون أمست بمعنى صارت، ويكون المراد أنها وصلت في رحيلها إلى أرض بعيدة في الجملة من غير تقدير، وهو أبلغ في بعد المسافة؛ لأن الوصف مستلزم لطول زمن السير، وهذا هو الظاهر " [2].

ولا شك أن المعنى الثاني هو الأنسب للسياق ومقصود الشاعر، وهذا ما أكده السيوطي حيث قال: " ومعنى البيت يرجع إلى مقصدين: ... والمقصد الثاني: المبالغة في ذكر البعد، بحيث لا يُبْلَغُ المقْصَدُ إليها إلا بالإبل دون غيرها بالأوصاف المتقدمة، والإشارة للبعد فيه من وجهين: الوجه الأول: اختيار الإبل لها دون غيرها من أنواع المراكب... الوجه الثاني: وصف الإبل الموصلة إليها بالأوصاف العديدة التي ذكرها، لا أنَّ كل نوع من الإبل يوصل إليها، وقد وصف

---

[1] كنه المراد، ص١٤٨– ١٤٩.

[2] السابق، ص٢٤٩.

الإبل الموصلة إليها بثلاثة أوصافٍ، وهي: العتاق، النجيبات، المراسيل ". [١]

٤ـ تأويل دلالة الجملة:

ومن شواهد الجمل التي تأول السيوطي دلالتها، قول كعب:

٥ـ تَنْفِي الرِّيَاحُ القَذَى عَنْهُ وأفْرَطَهُ ∴ مِنْ صَوْبِ سَارِيةٍ بِيضٌ يَعَالِيلُ

ومعنى البيت: أن الرياح عند هبوبها تطرد ما بذلك الأبطح الذي أُخِذ منه الماء، المشجوج به الراح، المشبه به ثغر سعاد، حتى لم يبق به ما يكدره، وجاءت سحابة أو سحب بالليل فأمطرته حتى امتلأ وفاض، فاجتمع فيه الصفاء والبرودة والكثرة. [٢]

وقد تأول السيوطي دلالة جملة (تنفي الرياح القذى عنه) تأويلًا راعى فيه مقصود الشاعر من الوصف، فقال: " هو محتملٌ معنيين: الأول: أن يكون نفى القذى عنه قبل وجود الماء فيه، بمعنى أن الرياح تهب عليه فتنسف ما فيه من ترابٍ ونحوه مما يكدره إذا نزل عليه الماء، فلا يبقى فيه إلا دقاق الحصى التي هي أصل تربته، فلا يجد الماء عند حلوله فيه ما يكدره فيبقى على صفائه. الثاني: أن يكون نفى القذى عنه بعد وجود الماء فيه، بمعنى أن الرياح تهب على الماء وهو في الأبطح، فتقذف ما على وجهه مما كان في الأَبْطَح فتطرده إلى شاطئ الوادي... والمعنى الأول أبلغ في الصفاء؛ لعدم ملاقاة القذى للماء جملة، وهو أقرب إلى مراد الناظم رضى الله عنه ". [٣]

فالسيوطي يربط هذا البيت بما قبله ويرى أن الأوصاف التي أتت فيه

---

[١] **كنه المراد، ص٢٥٤.**

[٢] **السابق، ص١٨١.**

[٣] **كنه المراد، ص١٨٢.**

مؤكدةٌ لوصف الماء بالصفاء في البيت السابق وهو قوله:

٤ـ شُجَّتْ بِذِي شَبِمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ∴ صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ

ومن الجمل التي تأول السيوطي دلالاتها قول كعب في وصف ناقته:

١٧ـ ضخمٌ مُقلدها فَعمٌ مُقيدها ∴ في خلقها عن بنات الفحل تفضيلُ[١]

قال السيوطي: " قوله: (في خلقها عن بنات الفحل تفضيل) محتمل لمعنيين: الأول: أن يريد أنها مفضلة على غيرها في عِظَم الخِلْقة والضخامة. والثاني: يريد أنها مفضلة على غيرها في حسن التكوين، ويحتمل أن يريدهما جملة ". [٢]

ثم يوجِّه السيوطي بلاغة الدلالة في كل معنى وتناسبها مع السياق والغرض، فيقول: " فإن حملناه على عظم الخِلْقَة، وكبر الهامة؛ كان في معنى ما تقدم من ضخامة المُقلَّد وعبالة المُقيَّد، ويكون بين أجزائها مناسبةٌ، وهو من صفات المدح أيضًا، بخلاف ما إذا كان بعض أعضائها لا يناسب بعضًا في الضخامة والرقة، فإنه مما يذم.

وإن حملناه على حسن التكوين؛ كانت قد جمعت بين ذلك وبين القوة في قوله: (عبل مقيدها) كما تقدم، وإن حملناه على عظم الخلق وحسن التكوين جميعًا؛ كانت قد جمعت بين القوة، وعظم الخلق، وحسن التكوين، والله تعالى أعلم بالصواب ". [٣]

---

[١] ضخم مقلدها: المراد غليظة العنق.. عبل مقيدها: المراد غلظ موضع القيد منها. [راجع: هامش كنه المراد ص٢٧١].

[٢] كنه المراد، ص٢٧٢.

[٣] كنه المراد، ص٢٧٣.

وأرى –والله أعلم– أن المعنى الأول هو الأرجح؛ لما ذكر السيوطي من تعليل فيه؛ ولأن مقصد الشاعر من الأوصاف التي اختارها لناقته في هذا البيت وغيره، هي أوصاف خاصة لناقة خاصة تبلغه مقصده، وهو الوصول إلى سعاد التي فارقته وذهبت إلى مكان بعيد لا تبلغه إلا هذه النوق التي وصفها، أما حُسْن التكوين والجمال الشكلي فغير مراد في هذا السياق.

٥ـ تأويل دلالة الأساليب:

من صور التأويل أو التوسع في المعاني التي تعرض لها السيوطي، تأويل دلالة الأساليب البلاغية، لاسيما الصور البيانية؛ ذلك أن ثراء الصور البيانية بابٌ من أبواب التأويل، والناقد الفطن هو الذي يأخذ بتعدد زاوية النظر إلى الأسلوب فيقدم التأويلات التي تثرى النص.

ومما ورد من ذلك قول كعب في وصف محبوبته:

٣ـ تَجلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إذَا ابْتَسَمَتْ ∴ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ[1]

قال السيوطي: " ولمَّا وصف ثغرها بأنه ذو ظَلَمٍ، شبَّهه بشارب راحٍ شرب منه مرة بعد أخرى، وهو يحتمل تأويلين: الأول: أن يريد أن ريقها امتزج بالراح واختلط به واكتسب مع معانيها وصار شبيهًا بها، وإلى ذلك يشير بعضهم بقوله:

تُدير لنا مراشِفُها عِقارًا ∴ قريبَ العهد من كأسٍ مُدارِ

والتأويل الثاني: أنْ يريد أنَّ ريقها نفسه في معنى الخمر وعلى ذلك مدار أكثر الشعراء في أشعارهم، ولله در القائل:

---

[1] تجلو: تكشف. عوارض: الأسنان. ذي ظلم: صفة لموصوف محذوف، أي: ثغر، والظلم: قيل هو بريق الأسنان، وقيل رقتها وشدة بياضها. الراح: الخمر. [كنه المراد، ص١٥٣– ١٥٣].

والله مـــا أدرى لأيَّـــةِ عِلَّـــةٍ ∴ يَـدْعُونَ هـذا الـراحِ باسـم الـرَّاحْ
أَلِرِيْحِهـــا أم رَوْحِهـــا أَمْ رُوحهـــا ∴ أم لارتيـاح نـديمها المرتـاحْ " (١)

فالسيوطي تـأول دلالـة التشبيه: (كأنـه منهـل بـالراح معلـول) علـى معنيـين: الأول: قصد المشابهة الناتجة من امتزاج الثغر بالخمر، والثاني: قصد المبالغة النـاتج من كون ثغرها هو الراح نفسه. ومما يقوى التأويل الثاني استخدام الأداة: (كأنَّ)، وكون هذا المعنى الثاني قد جرى عليه أكثر الشعراء في أشعارهم كما ذكر السيوطي.

وأرى – والله أعلم– أن الذي دفع السيوطي لهذا التأويل السابق– وإن لم يشر إلى ذلك– هو اختلاف ضبط لفظ المشبه به (منهل)؛ فإن قرئ: (مَنْهَلٌ) بفتح الميم؛ فالمعنى على المبالغة في كون ثغرها هو الراح نفسه، وإن قرئ: (مُنْهَلٌ) بضم الميم وصفًا لاسم الفاعل المُقدَّر: (كأن ذلك الثغر شاربُ خمرٍ مُنْهَل بالراح)؛ فالمعنى على قصد المشابهة، وقد وردت رواية السيوطي وابن هشام وغيرهما: (مُنْهَلٌ) بالضم.

٦ـ تأويل دلالة السياق:

تعد مراعاة السياق من أبرز الأدوات التي تعين على فهم النص، واستيعاب الدلالات، فالسياق " يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ". (٢)

ومن شواهد ذلك ما ورد في قول كعب يصف محبوبته:

٦ـ أَكْرِم بِهَا خُلَّةً لَوْ أنَّها صَدَقَتْ ∴ مَوعُودَهَا أو لَوَ انَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ

(١) كنه المراد، ص١٦٢– ١٦٣.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ٤ / ٢٢٢.

قال السيوطي: " فإن قيل: ما المراد بالوعد الذي وعدته ولم تصدق فيه؟ فالجواب: أن سياق الكلام يقتضي أنه وعد يتعلق بالوصل والمودة وحسن العشرة، على أنه قد تقدم أن محبتهم مصونة عن الخنا، بعيدة عن الريبة ". [1]

[1] كنه المراد، ص١٩٧.

المحور الثاني: تأويل دلالة الروايات المختلفة

توطئـة:

من المعروف أن الشعر العربي القديم اعتمد في روايته على الحفظ في الذاكرة البشرية، وأعان عليه توفر حافظة موهوبة لم تُمنح لغيرهم، فلم يعتمد على التدوين والكتابة، وهذا أمر طبعي فرضته ظروف الحياة آنذاك، وقد ترتب على ذلك اختلاف رواية بعض الأبيات بتغيير كلمة أو صيغة، أو نحو ذلك من وجوه تعدد الروايات نظرًا لتعدد رواتها.

وقد تنبَّه العلماء الأوائل أن اختلاف الرواية مؤدٍ لا محالة إلى اختلاف المعنى والوجه البلاغي، قال الخطابي (ت٣٨٦هـ): " اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوعٍ من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أُبْدل مكانه غيره جاء منه إمّا تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون منه سقوط البلاغة ". [١]

وقد أدرك السيوطي أثر اختلاف الروايات في توجيه المعنى والوجه البلاغي، ولهذا نراه يقف عند هذه الروايات، ويتأول دلالة كل رواية، وأحيانًا يرجح بعض الروايات معتمدًا على أسس بلاغية أو سياقية، أو عرفية، ومدى مناسبة الرواية لنفسية الشاعر ومقصده.

---

[١] **بيان إعجاز القرآن للخطابي، ص٢٩ (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن).**

وقد تنوعت وجوه الاختلاف والتعدد في رواية (بانت سعاد)، فتارة يكون الاختلاف في الألفاظ المفردة، وتارة يكون في الألفاظ المترادفة، أو في الضمائر، أو في الأدوات، أو في تصريف الكلمة، وأحيانًا يكون الاختلاف في التعبير أو الأسلوب كله.

١ـ الاختلاف في التعبير أو الأسلوب:

ومما ورد من شواهد هذا الوجه، في قول كعب:

٦. أَكْرِمْ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّها صَدَقَتْ ∴ مَوعُودَهَا أو لَوَ انَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ

فقد ذكر السيوطي تعدد الرواية في هذا البيت إلى أربعة أوجه: الأولى: (أكرم بها خُلَّة)، والثانية: (فيا لها خلة) والثالثة: (يا ويحها خلة)، والأخيرة: (يا ويلها خلة). [١]

ثم وجَّه السيوطي دلالة كل رواية، فقال: " ثم إن أُنْشد على الرواية المشهورة، وهي: (أكرم بها خُلَّة)، كان ذلك في غاية المدح؛ إذ العراقة في النسب مطلوبة في المرأة، مرغوبٌ فيها، خصوصًا عند العرب، وقد وردت السُنَّة باعتبار ذلك، ولذلك قال النبي ε: (تخيروا لنطفكم فلا تضعوها إلا في الأكفاء). [٢]

وإن أنشد: (فيا لها خلة) على الرواية الثانية، بتقدير: ألا فاعجبوا لها؛ كان التعجب من كونها اشتملت على حسن الصورة وبديع الجمال، وهي مع ذلك

---

[١] **راجع: كنه المراد، ص١٨٨.**

[٢] **راجع: سنن ابن ماجه، كتاب النكاح ٣ / ١٤٢ برقم ١٩٦٨ تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين.**

مشتملة على سوء العشرة وقلة الموافاة، فإنَّ حُسنَ الصورة مقرون بحسن الفعال وكرم الخلائق، ولذلك قال ع: (اطلبوا الحوائج عند صباح الوجوه) [1]، فإن كانت في نهاية الحسن والجمال وفعالها مخالفة في ذلك، كان في غاية التعجب.

وإن أنشد: (يا ويحها خلة) على الرواية الثالثة، كان ذلك من باب التأسف عليها، حيث لم تتخلق بأخلاق الكرام المناسبة لبديع منظرها، وكرم حسبها، بل خرجت عن طور الملائم لها، وركبت جادة لا تليق بمثلها، فحادت عن طريق الصدق، ومالت إلى الإخلاف فقطعت حبال المودة، وهدمت مباني الألفة.

وإن أنشد: (يا ويلها خلة) على الرواية الرابعة، كان من باب الدعاء على المحبوب، والمطلوب فيه عدم الإجابة، كما قيل:

أَدْعُو عليكَ وقلبي ∴ يقولُ يا ربِّ لا لا

وكأنه لما أضجره إعراضها، وأعياه صعوبة مراسها، هفت منه هفوة فقال: (يا ويلها) لَا أنَّه قصد بذلك حقيقة الدعاء، وإذا دعا المحب على المحبوب بالويل فما عسى يدعو به العدو على عدوه!! " [2]

والرواية الأولى هي الأرجح؛ لشهرتها، ومناسبتها لغرض الشاعر من الغزل بمحبوبته.

٢ـ الاختلاف في الألفاظ المتقاربة:

---

[1] أخرجه أبو بكر الدنيوري المالكي في كتاب: (المجالسة وجواهر العلم) ٤/ ٥٢٩ برقم ١٧٩٢ تحقيق: أبو عبيدة آل سلمان

[2] كنه المراد، ص١٩٢، ١٩٤، ١٩٥

ومن شواهد هذا الوجه، ما ورد في قول كعب يصف الناقة:

٢٥ـ قنواءُ في حُرَّتَيْهَا للبصيرِ بها ∴ عِتْقٌ مُبِينٌ وفي الخَدَّينِ تَسْهِيلُ[١]

ذكر السيوطي أنه رُوِّى (وجناء) بدل (قنواء). [٢]

القنواء: هي المحدوبة الأنف، مؤنث الأقنى، واشتقاقها من القنا، والوجناء: تحتمل معنيين: الأول: الصلبة، والآخر: العظيمة الوجنتين وهما طرفا الخد. [٣]

وتظهر براعة السيوطي ودقته، ووعيه بالسياق والعرف في توجيه وترجيح الرواية الثانية (وجناء) على الأولى، فيقول: " الوصف الأول: كونها قنواء، وقد عدَّه الشاعر في جملة الأوصاف المحمودة من الإبل، لكن المنقول عن العرب أن القنا عيبٌ في الإبل، كما هو عيبٌ في الخيل.

وإن أنشد على الرواية الأخرى، وهي: (وجناء) لزم منه التكرار، لتقدم هذا الوصف في البيت الثامن عشر في قوله: (غلباء) [٤]، إلا أنه تقدم هناك شرح الوجناء بمعنيين أحدهما: الصلبة، والثاني: العظيمة الوجنتين، فيجوز أن يكون قصد هناك معنى الصلبة؛ لأنه هناك تكلم في عظم خلقها، والمناسب لعظم الخلقة هو الصلابة والقوة، وأن يكون قصد هنا العظيمة الوجنتين؛ لأنه هنا تكلم في حسن الوجه والرأس من الأنف والأذنين والخدين، فلا يلزم منه

---

[١] القنواء: هي المحدوبة الأنف، ومنه قيل للرجل أقنى، إذا كان كذلك، الحرثان: الأذنان. [كنه المراد ص٣٠٣]

[٢] راجع: كنه المراد، ص٣٠٣

[٣] كنه المراد، ص٣٠٣

[٤] غَلْبَاءُ وجْنَاءُ عُلْكُومٌ مُذَكَرَةٌ في دَّفِّها سِعَةٌ قُدَّامُها مِيْلُ

تكرار المعنى وإن تكرر في اللفظ، وهو أولى من الوصف بما يُعدُّ عيبًا في الإبل " [1].

فالسيوطي راعى في ترجيحه مراعاة التناسب بين الأوصاف، ومراعاة الدلالة المقصودة في كل سياق، وجوَّز تكرار المعنى وعدَّه أوْلَى من الوصف المَعِيْبِ في ترجيح الروايات، وهو منهج يكشف عن رؤيةٍ متذوقةٍ للشعر.

وفى قول كعب:

٢٦ـ تَخْدي عَلَى يَسَراتٍ وهي لاحِقَةٌ ∴ ذوابلٍ مسّهُنَّ الأرض تحليلُ [2]

رُوِّي: (لاهية) بدل (لاحقة) ... وقد وجَّه السيوطي دلالة الروايتين، ورجح رواية (لاهية) أخذًا بمقياس تعدد المعنى وتجنب التكرار والحشو، فقال: " الوصف الثالث: الضمور والرقة، وهو المعني بقوله: (لاحقة)، وإذا كانت القوائم قليلة اللحم لم تكن رهلة ولا مسترخية، فيكون ذلك أسرع لوقوع قوائمها وبسطها.

وإن أنشد على الرواية الأخرى: (وهي لاهية) بدل قوله: (لاحقة) كان المعنى أنها لاهية عن السير غير مكترثة به مع إسراعها فيه، وذلك سجية لها، فهي تعقله مع غفلتها له، وهو أوْلَى من حيث تعدد المعنى؛ إذ اللاحقة والذوابل متقاربان في المعنى " [3].

٣ـ الاختلاف في الألفاظ المترادفة:

---

[1] كنه المراد، ص٣٠٤

[2] تخدي: تسير الوخد وهو ضرب مرتفع من السير. على يسرات: على قوائم خفاف. اللاحقة: الضامرة الخفيفة اللحم في القوائم. الذوابل: الصلبة. [كنه المراد ص٣٠٨]

[3] كنه المراد، ص٣٠٩

سوى السيوطي في هذا الوجه من اختلاف الروايات بين دلالة الألفاظ المترادفة أو الموهمة بالترادف، فقال في قول كعب:

٣٤ـ تَسْعَى الوشَاةُ جَنَابَيْهَا وقَوْلهُمُ ∴ إنَّك يا ابن أبي سُلْمى لمقتولُ

" وقوله: (جنابيها) أي: جانبي سعاد لا الناقة، وواحدها جانب بفتح الجيم، وهو فناء الشيء وما حوله، والمراد هنا: ناحيتا الناقة، ويروى: (حواليها) بدل (جنابيها) وهو بمعناه، ومنه قوله ε في دعاء الاستسقاء: (اللهم حوالينا ولا علينا) ". [١]

٤ـ الاختلاف في الضمائر (التذكير والتأنيث):

ومن شواهد هذا الوجه، ما ورد في قول كعب يصف محبوبته بإخلاف الوعد:

١١ـ كَانَتْ مَوَاعِيْدُ عُرْقُوبٍ لها مَثَلًا ∴ وَمَا مَوَاعِيدُهَا إلا الأباطِيلُ

رُوِّي: (وما مواعيدها) بضمير المؤنث، ورُوِّي: (وما مواعيده) بضمير المذكر، وقد وجَّه السيوطي الدلالة في الروايتين توجيهًا بلاغيًا، فقال: " ثم إن أنشد (وما مواعيدها) على الرواية المشهورة، كان ذلك تأكيدًا لإخلافها الوعد، فإنه بعد أن ضرب عرقوبًا مثلًا في الإخلاف، ذكر أن مواعيدها باطلة لا حقيقة لها، ولم يكن يضرب المثل حتى وصف مواعيدها بالأباطيل، فكانت أسوأ حالًا في المطل والإخلاف منه.. وإن أنشد (وما مواعيده) على الرواية الأخرى، كانت مماثلة لعرقوب في المَطْلِ من غير زيادة عليه ". [٢]

ولا يخفي أن الرواية الأولى (ومواعيدها) بعود الضمير على (سعاد)

---

[١] كنه المراد، ص٣٣٠، والحديث رواه البخاري في صحيحه ١٢/٢ حديث (٩٣٣).

[٢] كنه المراد، ص٢٤٠

أرجح وأنسب للسياق والمعنى؛ لأنها المقصودة من الوصف؛ ولما يترتب على الرواية الأولى من التناسب اللفظي ومراعاة النظير في نسق الضمائر داخل البيت (لها- مواعيدها).

٥ـ الاختلاف في الأدوات:

ومن شواهد هذا الوجه ما ورد في قول كعب يصف هيبة الرسول ﷺ :

٤١ـ لقد أقومُ مقامًا لو يقومُ به ∴ أرى وأسمع ما لو يسمع الفيلُ

روى باختلاف أدوات التوكيد (لقد أقوم) و(إني أقوم) ورجح السيوطي الرواية الأولى (لقد أقوم)؛ لشهرتها، وأبلغيتها في تأكيد المعنى، فقال: " قوله: (لقد أقوم) فيه قسم محذوف؛ لأن (لقد) يأتي جوابًا للقسم، إما ملفوظ به، كما في قوله تعالى: { تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا } [١]، وإما مقدر كما في قوله تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } [٢]، ويروى: (إني أقوم مقامًا)، والرواية المشهورة هي الأولى، وهي أبلغ في المعنى لتأكدها بالقسم المحذوف " [٣].

---

[١] سورة يوسف / ٩٠

[٢] الأحزاب / ٢١

[٣] كنه المراد، ص٣٦٧ - ٣٦٨

٦ـ الاختلاف في تصريف الكلمة:

الاختلاف في بنية الكلمة- صيغة ووزنًا- وجهٌ من وجوه اختلاف الرواية، وتعدد المعنى؛ ذلك أن كل زيادة في المبنى تصاحبها زيادة في المعنى. ومن شواهد هذا الوجه ما ورد في قول كعب يصف ناقته:

٢٢ـ عَيْرَانَـةٌ قُـذِفَتْ بـالنَّحْضِ عن عُرُضٍ ∴ مِرفقُهـا عـن بنـات الـزور مفتـولُ[١]

رُوِّي: (قُذِفَتْ) بالتخفيف، وروي: (قُذِّفَت) بالتشديد؛ للمبالغة أو التكثير.[٢]

ورواية (قُذِّفت) بالتشديد، أبلغ وأرجح؛ لمناسبتها مع مقصود الشاعر في وصف ناقته بالسِّمن والضخامة.

٧ـ الاختلاف في الصوت (تعاقب الألفاظ لتعاقب المعنى): [٣]

ومن شواهد هذه الصورة ما ورد في قول كعب يمدح الصحابة:

٥٤ـ بِيْضٌ سَوَابِغُ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ ∴ كأنَّهـا حلـقُ القَفْعَـاءِ مَجـدُولُ[٤]

فقد رُوِّي: (سُكَّت) بالسين المهملة، بدل (شكت) بالشين المعجمة.

وقد تنبه السيوطي أن اختلاف الصوت مؤذن باختلاف الدلالة، فقال: "

---

[١] عيرانة: تشبه عير الوحش في صلابتها.. قذفت بالنحض: رُميت باللحم.. عرض: جانب [كنه المراد ص٢١٩]

[٢] كنه المراد، ص٢٩١

[٣] راجع: الخصائص لابن جني ١ / ٥٣٨ باب: في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.

[٤] معنى البيت: أن دروعهم مجلوة صافية طويلة، وقد تداخلت حلقاتها بعضها في بعض أشد تداخل. [كنه المراد ص٤١٨] .

وقولـه: (قد شكت لها حلق) بضم الشين المعجمة، من شكت، أي: دخل بعضـها في بعضٍ، ويروى: (سُكَّت) بالسين المهملة، إذا ضُيِّقت ". [١]

ومن شواهد هذا الوجه أيضًا، ما ورد في قول كعب يمدح الصحابة:

٥٥ـ يَمشُـونَ مَشْـيَ الجِمَـالِ الزُّهـرِ يعصـمُهُم ∴ ضـــربٌ إذا عـــرَّدَ السُّـــودُ التَّنابيـــلُ

رُوِّي (عرَّد) بالعين المهملة، ومعناه: فرَّ وأعرض، ويروى (غرَّد) بالغين المعجمة، وهو الطير الشديد الداء من الطرب. [٢] وقد رفض السيوطي الرواية الثانية لعدم انسجامها مع المعنى والسياق، فقال موافقًا لابن هشام: " ولا معنى لهذه الرواية ". [٣]

---

[١] كنه المراد، ص٤١٧

[٢] السابق، ص٤٢١

[٣] نفسه، ص٤٢١

المحور الثالث: تأويل دلالة المعنى:(معنى المعنى)

من صور التأويل أو التوسع في المعنى عند السيوطي، الكشف عن المقاصد البعيدة أو المعاني الضمنية غير المباشرة، وهو ما يعرف (بمعنى المعنى)، فالسيوطي يعتمد في منهجه التأويلي " الكشف عن خفايا المعنى والدلالة، إذ لا يكتفي بمنطوق البيت الذي كان يدل عليه بلازمه (معنى البيت) مباشرة بعد تحديده للدوال المفردة بل كان مرماه المعنى الثاني المتأول، أو معنى المعنى الأبعد... جريًا مع المذهب الآخذ بتأويل المعاني وطلب انفتاح الدلالة فيها ". [1]

ولا يخفي أن الكشف عن المقاصد البعيدة، أو المعاني الثواني في كلام الشاعر أو البليغ يُعد ركيزة من ركائز البلاغة العربية، وضرورة من ضرورات المنهج في تحليل الشعر وتذوقه.. وهذا ما ألحَّ عليه الإمام عبد القاهر الجرجاني في مواضع متفرقة من كتابيه: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، أثناء شرحه لنظرية النظم، سيما في حديثه عن معنى المعنى، حيث قال: " وإذ قد عرفت هذه الجملة فههنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: المعنى، ومعنى المعنى، تعني بالمعنى: المفهوم من ظاهر اللفظ، والذى تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى: أن تعقل من اللفظ معنى ثم يُفْضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر... واعلم أنهم يضعون كلامًا قد أعطاك المتكلم أغراضه فيه من طريق المعنى، فكنَّى وعرَّض، ومثَّل واستعار، ثم أحسن في ذلك كلَّه وأصاب، ووضع كل شيء منه في موضعه وأصاب به شاكلته، وعمد فيما كنَّى به وشبَّه ومثَّل، لِمَا حَسُن مأخذه، ودقَّ مسلكه، ولطفت إشارته، وأنَّ المعرض وما في معناه ليس في

---

[1] مقدمة كنه المراد ص٤٧

اللفظ المنطوق به ولكن معنى اللفظ الذى دَلَلْتَ به على المعنى الثاني " . [١]

وهذا كلامٌ شريفٌ، وضَّح فيه الإمام الأساليب التي يتحقق فيها معنى المعنى وهي: (الكناية، والتشبيه، والاستعارة)، وبيَّن أن الشاعر أو البليغ يعمد إلى هذا المعنى المقصود من خلال دقته في النظم وتوظيفه للألفاظ وللأساليب التي يُراد بها دلالة المعنى على المعنى، لا دلالة اللفظ على معناه الذي وُضِع له في اللغة.

ولهذا نراه يقول أيضًا: " وإذا كان ذلك كذلك، عُلِمَ عِلْمَ الضرورة أن مصرف ذلك إلى دلالات المعاني على المعاني، وأنهم أرادوا أن من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول الذي تجعله دليلًا على المعنى الثاني ووسيطًا بينك وبينه؛ متمكنًا في دلالته، مستقلًا بوساطته، يُسْفِرُ بينك وبينه أحسن سفارة، ويشير لك إليه أبْيَنَ إشارة، حتى يُخَيَّل إليك أنك فهمته من حاق اللفظ، وذلك لقلة الكلفة فيه عليك، وسرعة وصوله إليك " [٢].

وقد أدرك السيوطي بذوقه البليغ، وحسِّه المرهف، كثرة المقاصد البعيدة، والأغراض التي يرمي إليها الشاعر، فعمد إلى " تقريب ما بَعُدَ تناوله من ثمار مقاصدها المتراكبة، لاقتطاف جانيها " [٣]، وجعل هذا التأويل معلمًا من معالم منهجه في شرح (بانت سعاد).

وقد تعددت شواهد هذه الصورة ومواضعها في تحليل السيوطي، وتنوعت أساليبها، وكان منهج السيوطي فيها قائمًا على الربط بين المقاصد المرادة

---

[١] دلائل الإعجاز ص٢٦٣.

[٢] السابق، ص٢٦٧.

[٣] كنه المراد، ص٩٩.

والدلائل أو الأساليب التي دلت عليه في النظم. وكان أسلوب الكناية هو الغالب في هذا الباب، يليه التشبيه، ثم الاستعارة، وهذا راجع إلى طبيعة الأساليب التي وظفها الشاعر لبيان المقاصد التي يرمي إليها.

فمما ورد في سياق وصف أسنان محبوبته، قول كعب:

٣ـ تَجلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ ∴ كَأَنَّـــهُ مُنْهَــلٌ بِـــالرَّاحِ مَعْلُـــولُ[١]

بيَّن السيوطي المعنى الظاهر من البيت، فقال: " إنَّ سعاد -إذا ابتسمت- تكشف في تبسمها عن أسنانٍ ذات ماءٍ وبريق، أو ذاتِ بياض ورقة، ولطيب ثغرها كأنه شارب راحٍ شربت منه مرة بعد أخرى ". [٢]

ثم يعمد إلى الكشف عن المقاصد البعيدة أو معنى المعنى في البيت، فيذكر أن الشاعر قصد إلى مدح محبوبته بالصفات المستحسنة في قوله: (ذي ظلم) بأمرين: " الأول: حداثة السن؛ فإنَّ الإنسان كلما طعن في السن تغير لون أسنانه عن البياض إلى الصفرة أو الخضرة. الثاني: النظافة؛ لأن تغير الأسنان إنما يصدر عن ترك السواك وعدم تعهد الأسنان ". [٣]

ويكشف عن المعنى الأبعد في قول الشاعر: (إذا ابتسمت)، وهو وصفها بوصفين من أوصاف المدح فيقول: "الصفة الأولى: طلاقة الوجه وبشاشته، إذ الشخص قد يكون في غاية الحسن والجمال الفائق، ولكنه قَطَوبُ

[١] تجلو: تكشف.. عوارض: الأسنان.. ذي ظلم: صفة لموصوف محذوف، أي: ثغر، والظلم: قيل هو بريق الأسنان، وقيل رقتها وشدة بياضها.. الراح: الخمر. [كنه المراد ص١٥٣، ١٥٣].

[٢] كنه المراد، ص١٥٥.

[٣] السابق، ص١٦٠.

الوجه عَبُوسُه، فيؤدي به ذلك إلى ذهاب بهجة حسنه، ورونق جماله... الوصف الثاني: الحياء والخفر، فإنَّ الضحك برفع الصوت والقهقهة دليل الخفة، وسقوط المروءة، ولا يليق بذوي الجلالة والخفر ". [١]

ومما ورد في سياق وصف الناقة، قول كعب:

١٩ـ وجِلْدُها من أَطُومٍ ما يُؤَيِّسُهُ ∴ طِلْحٌ بضاحية المَتْنَيْنِ مَهْزُولُ[٢]

فالمعنى الظاهر في البيت: أنَّ جلد الناقة يشبه جلد السلحفاة البحرية، ولا يؤثر فيه القراد الجائع وقت الضحى. [٣]

ومعنى المعنى المراد: هو " أن هذه الناقة في غاية الصلابة لسمنها وضخامتها؛ بحيث إن القراد لا يؤثر في جلدها ثم أكد ذلك من وجهين: الأول: أنه جعل ظهرها في هذه الحالة بارزًا للشمس، وهو المراد (بالضاحية) على ما تقدم ذكره، المعني فيه أن القراد في الشمس تقوى همتُه، وتهيج حركته واشتداده على امتصاص الدم، بخلاف حالة البرد، فإنه تضعف قوته، فإذا عجز عن التأثير فيها في حالة بروزها للشمس، فلأن يضعف في البرد أَوْلَى. الوجه الثاني: لا يستطيع التأثير في جلدها مع شدة الجوع الذي هو فيه (مهزول)؛ لأنه يكون أشد انهماكًا على امتصاص الدم، وأكثر ولوعًا به ". [٤]

---

[١] كنه المراد، ص١٥٥ –١٥٦.

[٢] الأطوم: السلحفاة البحرية، وقيل: الزرافة.. يؤيسه: يؤثر فيه.. الطلح: القراد.. والمراد بالضاحية: البارزة للشمس في وقت الضحى.. المتنين: جانبا ظهرها. [كنه المراد، ص٢٧٩ ، ٢٨٠] .

[٣] كنه المراد، ص٢٧٩ ، ٢٨٠ (بتصرف).

[٤] كنه المراد، ص٢٨٠ – ٢٨١.

فالسيوطي- كما ترى- لا يكتفي بالمعنى الظاهر في تأويل دلالة الألفاظ، وإنما يعمد إلى معنى المعنى، والمقاصد البعيدة، ثم يُدَلِّل عليها من خلال عناصر النظم التي وظفها الشاعر في البيت، والإشارات والإيحاءات التي تُفْهم منه.

ومما ورد أيضًا في سياق وصف الناقة، قول كعب:

٢٦- تَخْدي عَلَى يَسَراتٍ وهي لاحِقَةٌ ∴ ذوابل مسّهُنَّ الأرض تحليلُ[١]

مقصد الشاعر وغرضه: " أن هذه الناقة في غاية الإسراع في سيرها، وذلك أنه وصف قوائمها في السير بخمسة أوصافٍ: الأول: أنها تسير الوخد، وهو من أسرع أنواع السير، وهو المعنى بقوله: (تخذى). الوصف الثاني: خفة قوائمها (يسراتٍ). الوصف الثالث: الضمور والرقة، وهي المعني بقوله: (لاحقة) وإذا كانت القوائم قليلة اللحم لم تكن رهلة ولا مسترخية، فيكون ذلك أسرع لوقوع قوائمها وبسطها... الوصف الرابع: صلابة قوائمها، وهو المعني بقوله: (ذوابلٍ)؛ لأنها قد تكون ضامرة القوائم وليست بصُلبة، وإذا اجتمع فيها الوصفان كمُلَتْ حسنًا. الوصف الخامس: سرعة رفع قوائمها عن الأرض، وهو المعني بقوله: (مسُّهن الأرض تحليل) وإذا كانت قوائمها مشتملة على هذه الأوصاف كانت في غاية إسراع السير " [٢].

ومما ورد في هذا السياق، وقصد الشاعر منه الصلابة، قول كعب:

---

[١] تخذى: تسير الوخد، وهو ضرب مرتفع من السير.. اليسرات: القوائم الخفيفة.. لاحقة: ضامرة.. الذوابل: اليابسة.. التحليل: تحلة اليمين. [كنه المراد ص٣٠٨].

[٢] كنه المراد، ص٣٠٨، ٣٠٩.

٢٧ـ سُمْرُ العُجَايَات يَتْركنَ الحَصَى زِيْمَا ∴ لـــم يقهـــنّ رؤوس الأكـــم تنعيـــلُ[١]

فالمعنى المتأول الذي يقصده الشاعر من هذه الأوصاف لناقته هو الصلابة، يقول السيوطي: " والمقصد أن هذه الناقة صلبة الأعلى، صلبة الأسفل، شديدة، وذلك أنه وصفها بثلاث صفاتٍ: الصفة الأولى: صلابة العصب في قوله: (سمر العجايات) حيث شبهها بالرماح لقوتها وصلابتها. الصفة الثانية: شدة وطئها الأرض، بحيث إنها تفرق الحصا إذا وطئته (يتركن الحصا زيما)... الصفة الثالثة: صلابة خُفِّها، بحيث إنها مع كثرة السير لا تحفى ولا تحتاج إلى تنعيل مع طول المدى، وإنما خص (الأكم) التي هي الروابي بالذكر دون غيرها من الأرض؛ لأنها قليلة السلوك، فتبقى بها الحجارة الخشنة ونحوها، فإذا كانت لا تحتاج إلى تنعيل لمثل ذلك فغيره أولى ". [٢] .. فالسيوطي لا يكتفي بالنص على معنى المعنى المفهوم من المعنى الأول، وإنما يدلل على ذلك من خلال تحليل الأساليب والتراكيب في نظم الشاعر.

ومما ورد في سياق مدح الصحابة، قول كعب:

٥٣ـ شُمٌّ العرانين أبْطَالٌ لبوسُهُمُ ∴ من نسجِ داودَ في الهَيجَا سَرَابيلُ[٣]

فليس المراد من مدحهم بهذه الأوصاف ظاهر المعنى الذي تدل عليه

---

[١] العجايات: الأعصاب المتصلة بالحافر.. زيما: متفرقًا.. وقوله: (لم يقهن رؤوس الأكم تنعيل): أي ليس بين تلك العجايات وبين الأكم التي تمر عليها تنعيل يقيها منها.. والأكم: الروابي المرتفعة من الأرض.. [كنه المراد ص٣١١].

[٢] كنه المراد، ص٣١٢.

[٣] الشمم: جمع أشم، وهو الذي في قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه.. العرانين: الأنف.. اللبوس: ما يلبس من السلاح.. الهيجاء: من أسماء الحرب.. السرابيل: جمع سربال. [كنه المراد ص٤١١] .

الألفاظ، وإنما المقصود والغرض " أنهم في الناس ذوو رفعة وعلو مقدار، وفى الحرب في غاية من الشجاعة ومنعة من السلاح ". [١]

وبعد أن ذكر السيوطي معنى المعنى الذى يقصده الشاعر ذهب إلى تأويل وتحليل دلالة هذا المقصد من خلال التراكيب، فقال: " وقد وقع المدح لهم من ثلاثة أوجه: الوجه الأول: كونهم (شم العرانين)... ويكون استعار ذلك لرفعة القدر والعلو؛ لأنه يقال ذلك للرجل المرتفع القدر، في أنفه شممٌ... الوجه الثاني: كونهم (أبطال)، وهو من أوصاف الشجعان المبرزين للشجاعة، ولا يُشك أن الشجاعة من أحمد الأوصاف التي يُمْتدح بها ويقع الإطراء بسببها... الوجه الثالث: أن لبوسهم في الحرب كانت من أصنع الدروع وأمنعها؛ لأنه أضافها لنسج داود نبي الله صلوات الله وسلامه عليه، ولا شك أن دروعه أحكمُ الدروع صنعة ". [٢]

ومما ورد في ذات السياق السابق، قول كعب:

٥٤- بِيْضٌ سَوَابِغُ قَد شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ ∴ كأَنَّهـا حلـقُ القَفْعَـاءِ مَجـدُولُ[٣]

معنى البيت الظاهر: أن دروعهم مجلوةٌ صافية طويلة، مشتكة الصنعة، تداخلت بعضها في بعض أشد تداخل ". [٤]

---

[١] كنه المراد، ص٤١٢.

[٢] السابق، ص٤١٢ – ٤١٣.

[٣] بيض: جمع أبيض، والمراد المجلوة.. السوابغ: جمع سابغ، والمراد: الطوال السوابل.. شكت لها حلق: دخل بعضها في بعض.. القفعاء: شجر ينبت على وجه الأرض متداخل بعضها مع بعض.. المجدول: المحكم الصنعة. [كنه المراد ص٤١٧ . ٤١٨] .

[٤] كنه المراد، ص٤١٨.

ومعنى المعنى المقصود من نظم الشاعر: مدحهم من ثلاثة أوجه: " الوجه الأول: أنهم مستقبلون الحرب [بيض]؛ لأن الحديد كلما اسْتُعمل انْصَقل وابيضَّ، ولم يركبه الصدأ، بخلاف ما إذا تُرِك بلا استعمال فإنّه يَسْوَدُّ ويركبه الصدأ. الوجه الثاني: أنهم في غاية القوة [سوابغ]؛ لأن الدروع إذا كانت طويلة تامة كانت أثقل ضرورة، وحملُها في الحرب مع ثقلها يدل على الشدة والقوة. الوجه الثالث: أن لهم اعتناءً بآلة الحرب [قد شكت لها حلق كأنه حلق القفعاء مجدول]؛ حيث لم يتخذوا منها إلا المحكم الصنعة، العزيز الوجود".[1]

ومنه قول كعب في البيت الذي يليه:

٥٦ـ لا يفرحُونَ إذا نَالَتْ رِمَاحُهُمُ ∴ قومًا ولَيْسُوا مَجَازيعًا إذا نِيلُوا[2]

المعنى الظاهر من البيت: " أنهم إذا أصابوا وغلبوا عدوهم لا يفرحون، وإذا غُلِبوا منه لا يجزعون من لقائه ثانيًا " [3]

ومعنى المعنى المتأول، هو مدحهم بأمرين: كثر الظفر بالأعداء وهو المفهوم من قوله: (لا يفرحون إذا نالت رماحهم قومًا)، والصبر والجلادة على الحرب وهو المفهوم من قوله: (وليسوا مجازيعًا إذا نيلوا).

قال السيوطي: " ويكون المدح فيه قد وقع من وجهين: الوجه الأول: أنهم كثيروا الظفر بالأعداء، فإذا وقع لهم ظفر بقدرٍ لا يفرحون به؛ لأن ذلك

---

[1] السابق، ص٤١٨.

[2] المجازيع: جمع مجزاع، وهو الكثير الجزع والخوف.. نيلوا: أصيبوا [كنه المراد ص٤١٩].

[3] كنه المراد، ص٤١٩.

من عاداتهم، والفرح إنما يقع بالشيء النادر والقليل الوقوع. الوجه الثاني: أنهم كثيروا الهِمَمْ، وفيهم الصبر والجلادة على الحرب، بحيث إنهم إذا ظفر عليهم العدو وغلبهم لا يمنعهم ذلك ملاقاته مرة ثانية خوفًا وجزعًا؛ لقلة تقلباتهم بالخطوب، وتأثرهم بمكابدة الحروب ". [1]

[1] **كنه المراد، ص٤١٩ – ٤٢٠.**

المبحث الثاني

(بلاغة النظم الترتيبي وأبعاده الجمالية)

* المحور الأول: تحقيق المقصود الأعظم للنص (المعنى الأم) .
* المحور الثاني: التناسب بين المقاصد الكلية.
* المحور الثالث: التناسب بين المعاقد أو السياقات الجزئية.
* المحور الرابع: التناسب والتعالق بين الأبيات.
* المحور الخامس: التناسب بين الجمـل.

المبحث الثاني

(بلاغة النظم الترتيبي وأبعاده الجمالية) [١]

توطئة:

من المعروف أن الإمام جلال الدين السيوطي من العلماء الذين اهتموا (بعلم المناسبة)، وقد أدرك أن علم المناسبة هو المدخل الحقيقي للتحليل المتكامل للنص، فهو الجهة التي تكتمل عندها دراسة المعاني؛ ذلك أن " كمال المعنى في نفسه يكون باعتبار استيفاء أجزائه البسيطة، أو استيفاء أجزائه المركبة ". [٢]

---

[١] المقصود بالنظم الترتيبي: هو تدبر علل ترتيب أجزاء النص ومكوناته وعناصره ترتيبًا معنويًا، يقوم على إبراز أوجه التناسب والتعالق بين جميع الأجزاء، ويقوم على رصد حركة المعنى داخل النص تناسلًا، أو تصاعدًا، أو تناسبًا، أو ترتيبًا أو غير ذلك. فالتنبيه على علل وضع الأشياء في مواضعها، وكيف ترتبت معانيها في نفس قائلها، وما مقتضى كون هذه الجملة فاتحة والأخرى خاتمة؛ يضبط حركة المعاني داخل البناء، وينسب كل معنى إلى أصله، فالوصول إلى البنية المكتملة للكلام لا يكون إلا بعد إحكام النظر في مواقع عناصرها وأماكنها على حده، ثم النظر بعدها في علاقات الأجزاء.
فالنظم الترتيبي يخضع لاعتبارات أوجبت أن يكون هذا الكلام أولًا، وهذا وسطًا، وذاك أخرًا، لأن " الكلم تُرتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتًا وأصداء حروف، لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطرٍ أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يُجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك ". [دلائل الإعجاز ص٥٦ تحقيق / محمود شاكر.. وراجع: نظم الدرر للبقاعي ١ / ١١، والإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، د/ محمود توفيق ص١٨٥، والتناسب في تفسير الإمام الرازي، د/ منال المسعودي، ص٩٣].

[٢] منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، ص١٣١، تحقيق/ محمد الحبيب، دار

ولهذا أقام السيوطي تحليله لقصيدة (بانت سعاد) على نظرة شمولية واعية، راعى فيها وحدة البناء الفني للقصيدة، والتناسب والترابط بين أجزاء النص ومكوناته- ترتيبًا وتركيبًا- ووضع يده على العلاقات التي تربط بناء النص مستوعبًا مستوياته المتعددة: (تحقيق المقصود الأعظم للنص- بيان التناسب بين المقاصد الكلية- بيان التناسب بين المعاقد والسياقات- التعالق والتناسب بين الأبيات- التناسب بين الجمل).

ولاشك أن الوقوف على بلاغة النظم الترتيبي وأسرار التناسب بين أجزاء النص يعدُّ من أبرِّ المناهج رحمًا بتحليل الشعر وتذوقه؛ لأنه يكشف عن بلاغة النص وجمالياته وكيف ترتبت المعاني في نفوس قائليها، وكيف تصاعدت أو تناسلت في تنام عجيب تتلاحم فيه بنية القصيدة " نظمًا وترتيبًا، وتأليفًا وتركيبًا، وصياغة وتصويرًا، ونسجًا وتحبيرًا ". [1]

والإمام جلال الدين السيوطي له منهجٌ واضح المعالم في تأويل بلاغة التناسب الترتيبي من خلال شرحه لـ (بانت سعاد) وسوف نذكر في المحاور الآتية أهم معالم هذا المنهج.

الغرب الإسلامي، بيروت، ط (٣) ١٩٨٦م.

[1] دلائل الإعجاز، ص٣٤.

المحور الأول: تحقيق المقصود الأعظم للنص (المعنى الأم)

أدرك السيوطي أن كلَّ قصيدةٍ لها مقصودٌ أعظم، ومعنى رئيس، تدور حوله معاقد القصيدة وسياقاتها، وترتبط به، وينبني على أساسه نظم الكلام؛ ولهذا سعى إلى تحرير المعنى الكلي أو المقصد الأعظم الذي تبنى عليه قصيدة (بانت سعاد) فقال عند شرحه لقول كعب:

٣٨ـ أُنبئتُ أنَّ رسولَ الله أوعدني ∴ والعفو عند رسول الله مأمولُ

" جميع ما تقدم توطئة لهذا البيت، فإن غرضه من القصيدة (التنصل والاستعطاف) [١]، ويؤكد هذا المعنى من خلال ربط البيت السابق بالذي يليه:

٣٩ـ مهلًا هداك الذي أعطاك نافلةَ الـ ∴ ـقرآن فيه مواعيظٌ وتفصيلُ

فيقول: " وهو كالتتمة للبيت الذي قبله، لاشتماله على تمام الاستعطاف ". [٢]

ويؤكد هذا المعنى أيضًا من خلال البيت الذي يليهما:

٤٠ـ لا تأخذني بأقوال الوُشاة ولم ∴ أذنب وإنْ كثُرت فيّ الأقاويلُ

فيقول: " وهذا من تتمة الاستعطاف والتلطف في القول المتوصل به إلى استجلاب القلوب، واستمالة الخواطر ". [٣]

وقد سعى السيوطي إلى توظيف السياق الخارجي في تحقيق مقصود النص الأعظم، وذلك من خلال المقدمة التي ذكر فيها سبب نظم القصيدة، حيث

---

[١] كنه المراد، ص٣٤٥.

[٢] السابق، ص٣٥٦.

[٣] نفسه، ص٣٦٠.

ذكر السيوطي نقلًا عن أصحاب السِّير الأسباب التي أدت إلى إهدار النبي ε لدم كعب بن زهير والذي ضاقت الدنيا في وجهه فلم يجد بُدًّا ولا مفرًا سوى التوبة وطلب العفو والصفح من رسول الله ε.

وهذا التمهيد الذي احتوى على توظيف التاريخ والمناسبة له اتصال وثيق بتحرير المقصود الأعظم من النص، والكشف عن المقاصد الداخلية.. ولا يخفى أن السيوطي استعان بخبرته في أسباب النزول للآيات القرآنية، وطبق هذا المنهج في الشعر. وهذا مهم لبيان مدى الانتفاع من علوم الشريعة، والشعر.

وهكذا فإن السيوطي بنظرته المستوعبة قد حقق المقصود الأعظم من القصيدة ووضع يده على المعنى الأم، وهو التماس العفو من رسول الله ε، وهذا المعنى الكلي الذي تدور حوله معاقد القصيدة ويسرى في سياقاتها، وبناء نظمها، يُعَدُّ " نقطة ارتكاز نفسية تلتقي عندها أفكار النص وتداعيات معانيه ". (١)

(١) **مقدمة كنه المراد، ص٦٢.**

المحور الثاني: التناسب بين المقاصد الكلية

من معالم المنهج التي نصَّ عليها السيوطي في مقدمة شرحه لـ (بانت سعاد): " تقريب ما بَعُد تناوله من ثمار مقاصدها المتراكبة " [1]، ولهذا سعى إلى بيان المقاصد المرادة في النص، وكيف تناسبت وترتبت في نفس قائلها فاتحةً، ووسطًا، وخاتمة.

فالسيوطي يرى أن المقصود الأعظم من النص، هو التنصل والاستعطاف وطلب العفو والصفح من رسول الله ε، كما وضحنا في المحور السابق.

وهذا المقصد الأعظم والمعنى الأم عند الشاعر، يشمل الأبيات من (٣٨ – ٤٠)، وجميع ما تقدم على هذه الأبيات يعدُّ توطئة وتمهيدًا لهذا المقصد الأعظم. [2]

كما أنَّ جميع ما أتى من مدحٍ بعد هذه الأبيات مترتب على هذا المقصد الأعظم، وكأن هذا المقصد نقطة ارتكاز تتلاقى عندها المقاصد السابقة واللاحقة، على النحو المبين بالشكل الآتي:

---

[1] كنه المراد، ص٩٩.

[2] السابق، ص٣٤٥.

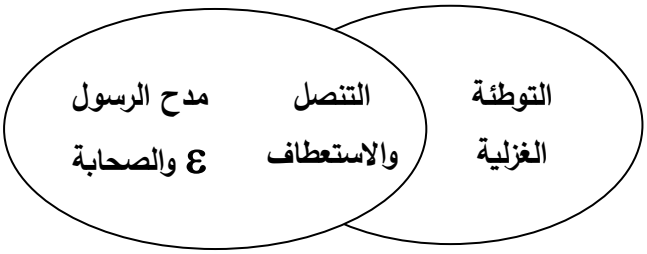

ثم يأخذ السيوطي في بيان المقاصد التي اشتملت عليها التوطئة الغزلية، ويقسمها إلى ثلاثة مقاصد فرعية:

المقصد الأول: فراق سعاد ورحيلها ... من البيت (١-١٢)، يقول السيوطي: " المقصد الأول: فراقها، بقوله: (بانت سعاد)، ثم أتبعه بذكر رحيلها، بقوله: (وما سعاد غداة البين إذ رحلوا) وأتى على ذكر أوصافها المحمودة من الحسن والجمال الذي لا يلوم على العشق معه لائم، ولا يليق عند الإنصاف أن يُعْذَل معه عادلٌ، ثم أعقبه بذكر أوصافها في العشرة من الصدِّ والجفاء، وما في معناه في الأبيات المتعددة بعد ذلك، ثم أعقبه بذكر ما حملته عليه المحبة من الطمع والأمنية بقوله: (أرجو وآمل أن تدنو مودتها)، ثم استبعد ذلك في بقيته ". [١]

المقصد الثاني: المبالغة في ذكر البعد، بحيث لا يُبْلَغُ المقصَدُ إليها إلا بالإبل دون غيرها؛ ولهذا استطرد الشاعر في ذكر أوصافٍ خاصة للناقة التي يأمل أن تبلِّغَه محبوبته في مكانها البعيد.. وقد استغرق هذا المقصد من البيت: (١٣ - ٣٣).

يقول السيوطي: " المقصد الثاني: المبالغة في ذكر البعد بحيث لا يُبْلَغُ

---

[١] كنه المراد، ص٢٥١ . ٢٥٢.

المقصَدُ إليها إلا بالإبل دون غيرها بالأوصاف المتقدمة، والإشارة في البعد من وجهين: الوجه الأول: اختيار الإبل لها دون غيرها من أنواع المراكب... الوجه الثاني: وصف الإبل الموصلة إليها بالأوصاف العديدة التي ذكرها، لا أنَّ كل نوعٍ من الإبل يوصل إليها ". (١)

المقصد الثالث: سعى الوشاة عند سعاد لتنفيرها منه، وإرجافهم وتخويفهم له بالقتل، وقد شمل هذا المقصد من البيت (٣٤- ٣٧). يقول السيوطي مشيرًا إلى التناسب التصاعدي بين المقاصد التي وردت في التوطئة: " ما كفى ما لاقاه من صدِّ محبوبته وإعراضها عنه، وبُعدِها عنه، بحيث صارت إلى مسافة في البُعد لا يبلغُها إلا الناقة التي وصفها، حتى إن الوشاة يَسْعَوْنَ به عندها، ويغيرونَ خاطرها عليه، وينفرونها عنه، ثم يرجعون إليه فيخوفونَه بالقتل، ويُضيقون عليه سبيل النجاة " (٢).

ويرى السيوطي أن هذا المقصد الثالث يمثل نقطة الخروج التي تخلَّص بها الشاعر ببراعة من الغزل إلى المدح، فيقول: " ومن هنا تخلص إلى ذكر قصة نفسه، وكيف كان ابتداء أمره مع النبي ε ، فانتقل من ذكر سعى الوشاة به عند سعاد إلى تخويفهم له بالقتل الذي كان أوعده به النبي ε حين هدر دمه قبل إسلامه، وهذا هو النوع الرابع من أنواع النسيب وهو المتعلق بغير المحب والمحبوب بسببهما، كما تقدم في أول الشرح، وهو كالتوطئة لما يأتي بعده من المدح ". (٣)

---

(١) **كنه المراد، ص٢٥٤.**

(٢) **السابق، ص٣٣١.**

(٣) **نفسه، ص٣٣٤.**

وبعد أن فرغ السيوطي من بيان التناسب بين المقصود الأعظم للنص وبين المقاصد الفرعية للتوطئة الغزلية، شرع في بيان المقاصد التي اشتمل عليها غرض (المدح)، وقد قسمها إلى مقصدين فرعيين: المقصد الأول: مدح الرسول ε بالهيبة وحسن الاقتداء به، وقد شمل هذا من البيت (٤١ –٥٠). المقصد الثاني: مدح الصحابة رضوان الله عليهم من البيت (٥١ – إلى آخر القصيدة)

يقول السيوطي: " لمَّا فرغ من مدح النبي ε أخذ في مدح المهاجرين من أصحابه . رضى الله تعالى عنهم . " [١].

وبهذا الرصد المتمكن للمقاصد يكون السيوطي قد ضبط حركة المعاني داخل النص وكشف عن ترتيبها وتناسبها في نفس الشاعر، فبدت لنا القصيدة وحدة واحدة تتداعى فيها المقاصد وتتلاحم في تناسب عجيب مع المقصود الأعظم وهو طلب العفو والصفح من رسول الله ε .

وهذا المنهج الذي أشرتُ إلى معالمه عند السيوطي في بيان التناسب بين المقاصد، ورد متفرقًا أثناء شرحه وتحليله للأبيات، ولم ينص عليه مجموعًا في مقدمة الشرح كما صنع في بعض وجوه التناسب الأخرى.

---

[١] كنه المراد، ص٤٠٢.

المحور الثالث: التناسب بين المعاقد أو السياقات الجزئية.

اهتم السيوطي بإبراز التناسب الترتيبي بين المعاقد أو السياقات التي تبنى عليها أجزاء القصيدة، وقد وضع تمهيدًا في مقدمة الشرح تحت عنوان: (المقصد الثالث: في بيان ترتيب هذه القصيدة وسياقاتها التي سيقت عليها)[1]، وأشار فيه إلى كثير من علاقات التناسب والترتيب بين المعاقد، وهذا البيان معلم أصيل في الكشف عن بناء النص وتلاحمه ووحدة موضوعه.

ويمكن إيجاز ملامح منهجه حول هذا المحور في ثلاثة عناصر:

١ـ اتباع منهج الشعراء العرب في قصائد المدح:

يقول السيوطي مبينًا التناسب الترتيبي بين سياقي الغزل والمدح: " اعلم أنه كان عادة أكثر شعراء العرب أنهم إذا أتوا بقصيدة مدحٍ افتتحوها بالنسيب وهو المُعَبَّر عنه بالغزل، وهو عند المحققين من أهل الأدب يشتمل على أربعة أنواع: النوع الأول: ذكر ما في المحب من الصفات التي هي أسباب المحبة الدالة على المحبة، كالشغف والنحول والذبول والحزن والأرق ونحو ذلك. النوع الثاني: ذكر ما في المحبوب من الصفات التي هي أسباب المحبة، سواءٌ كانت حسية كحمرة الخدود، ورشاقة القد وما في معناهما، أو معنوية كالجلالة والخفر، وما أشبه ذلك، ويسمى هذا النوع من النسيب تشببًا أيضًا. النوع الثالث: ذكر ما يتعلق بالمحب والمحبوب جميعًا من هجرٍ وصدٍ ووصلٍ وسلوى واعتذار ووفاءٍ واختلاف ونحو ذلك. النوع الرابع: ذكر ما يتعلق بغيرهما بسببهما من الوشاة والرقباء ونحوهما. والناظم– رحمه الله تعالى– قد أتى في

---

[1] كنه المراد، ص١١١.

قصيدته قبل التخلص إلى المدح بالأنواع الأربعة ". [1]

فالسيوطي- كما ترى- جعل المدح هو الغرض أو السياق الرئيس، وجعل الغزل أو النسيب توطئة له جريًا على عادة الشعراء العرب في ذلك.

٢- بيان ترتيب المعاقد أو السياقات داخل النص:

وفى هذا البيان أشار السيوطي إلى أوجه الترتيب والتناسب بين السياقات والمعاقد، وذكر كثيرًا من علاقات الترتيب بين المعاقد والسياقات، مثل: الاستطراد، وتكميل الوصف، والتأكيد، والتخلص، واستيفاء المعنى، وغير ذلك.

يقول السيوطي: " والناظم- رحمه الله تعالى- قد أتى في قصيدته قبل التخلص إلى المدح بالأنواع الأربعة، وذلك أن القصيدة اشتملت على سبعة وخمسين بيتًا.

فابتدأ بالنوع الأول بذكر حال نفسه، وما عراه بسبب الفراق في البيت الأول، بقوله: (بانت سعاد).

ثم أخذ في ذكر النوع الثاني، وهو ما يتعلق بمحبوبته، فشبهها بالظبي الموصوف بأحسن الصفات في البيت الثاني، بقوله: (وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغنُّ ... البيت)، ثم ذكر ثغرها وريقها وشبهه بالراح في البيت الثالث، ثم ذكر مزج الراح بالماء، واستطرد فوصف ذلك الماء، ثم الأبطح الذي أخذ منه الماء في البيت الرابع، ثم أكمل وصف ذلك الأبطح في البيت الخامس.

ثم أخذ في ذكر النوع الثالث، وهو ما يتعلق بهما جميعًا فذكر إخلافها للوعد، وعدم قبولها النصح في البيت السادس، بقوله: (أكرم بها خُلَّةً لو أنها

---

[1] **كنه المراد، ص١١٢.**

صدقت موعودها... البيت). ثم أكمل ذلك في البيت السابع، ثم وصفها بالتلون في الود في البيت الثامن، ثم وصفها بعدم الوفاء بالعهد في البيت التاسع، ثم أكد بعد ذلك فأخبر بأنَّ ما تَعِدُهُ أماني لا حقيقة لها في البيت العاشر، ثم ضرب لها مواعيد عرقوبٍ مثلًا في البيت الحادي عشر، ثم لام نفسه على التعلق بمواعيدها في البيت الثاني عشر. ثم ذكر بُعْدَ ما بينه وبينها من المسافة في البيت الثالث عشر، ثم ذكر أنه لا يبلغها إليها إلا ناقة من صفتها كذا وكذا، وأطال في وصفها على عادة العرب في ذلك، من أول البيت الرابع عشر إلى آخر البيت الثاني والثلاثين، فاستوفى في وصفها تسعة عشر بيتًا. [1]

ثم أخذ في ذكر النوع الرابع، وهو ما يتعلق بغيرهما بسببهما، فذكر الوشاة وحاله معهم في البيت الثالث والثلاثين بقوله: (تسعى الوشاة جنابيها ... البيت)، واستطرد في ذلك إلى آخر البيت السابع والثلاثين، وهو آخر الغزل.

ثم تخلص إلى المدح في البيت الثامن والثلاثين بقوله: (أنبئت أن رسول الله أوعدني ... البيت)، واستطرد في ذلك إلى آخر البيت الخمسين. ثم خرج إلى مدح المهاجرين من الصحابة- رضى الله تعالى عنهم- في البيت الواحد والخمسين، بقوله: (في فتية من قريشٍ ... البيت)، واستطرد في ذلك إلى آخر البيت السابع والخمسين، وهو آخر القصيدة ". [2]

وهذا البيان التفصيلي من السيوطي لترتيب المعاقد والسياقات، يدل على منهج السيوطي في التأكيد على وحدة النص وتلاحمه، ويدل على انتظام

---

[1] عدَّ السيوطي وصف الناقة من الغزل، لأنه لم يكن مقصودًا لذاته، وإنما كان دليلًا على المبالغة في بُعد المحبوبة.

[2] كنه المراد، ص١١٢، ١١٣، ١١٤.

المعاني وتناسبها في سياقاتها، وترتيبها فيما بينها، تصاعدًا أو تناسلًا.

٣ـ دفع الشُبَه التي تُوهم عدم التناسب بين المعاقد والمقاصد:

لماَّ كان التناسب منهجًا رئيسًا من مناهج السيوطي في تأويل بلاغة النص الشعري؛ فإننا نراه في مواضع كثيرة من شرحه لبانت سعاد يدفع الشُبَّه التي يُوهِمُ ظاهرها عدم التناسب، ويتأول وجه المناسبة فيها بذوق مقنع يعتمد فيه على مراعاة العرف، أو الذوق، أو السياق، أو نحو ذلك.

ومن شواهد ذلك قوله في بيان التناسب بالغزل في مقام النبي ε وحضرته: " فإن قيل كيف ساغ أن يتغزل بامرأة في قصيدة أنشدها بين يدي النبي ε ؟

فالجواب: أنه جرى في ذلك على عادة العرب في أشعارهم، وسَماعُ النبي ε ذلك وإقرارُه عليه دليل الجواز، إذ يُحتمَل أنه قصد امرأة معينةً كانت حليلته، وبانت عنه، فتغزل فيها، وقد نصَّ العلماء – رضى الله عنهم– على أنَّه إنما يمتنع التغزل إذا كان لشخص معيَّن، أو امرأة أجنبية، أما إذا كانت بحليلةٍ، أو غير مُعَيَّنٍ فلا منع فيه كما تقدم، على أن محبتهم غير مفضية إلى الخنا والقبيح، ويُحتمل أنه لم يقصد بذلك امرأة معينة بل جرى فيه على أكثر عادة الشعراء في ذلك، ولا منع فيه كما تقدم ". [١]

ومن المواضع التي يوهم ظاهرها عدم التناسب، وتأولها السيوطي، قوله في وصف الشاعر لريق محبوبته بالخمر في حضرة النبي ε : " فإن قيل: كيف ساغ أن يتغزل في مثل هذه القصيدة بذكر الخمر التي هي أم الخبائث، مع

---

[١] كنه المراد، ص١٣٤، ١٣٥.

كون تحريهما سابقًا على إسلامه، فإن تحريم الخمر في سنة ثلاثٍ من الهجرة، وإسلامه بعد مُنْصرفِ النبي ε من الطائف في سنة ثمانٍ؟

فالجواب: أنه جرى في ذلك على عادة العرب في أشعارهم مع قرب عهده بالإسلام كما تقدم في الكلام على التغزل بالمرأة، وإذ تعرض لذكر الراح ومتعلقاتها في هذا البيت والذي بعده، فلابد من متابعته على ذلك، وإيراد ما ترجع إليه معاني كلامه مثل الأديب الذي يخوض في كلِّ فنٍّ ". [1]

ومن الشبه التي يوهم ظاهرها عدم التناسب، قول كعب:

٦. أكْرَمْ بِهَا خُلَّةً لَوْ أنَّها صَدَقَتْ ∴ مَوعُودَهَا أو لَوَ انَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ

٧ـ لكنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِهَا ∴ فَجْعٌ ووَلْعٌ وإخْلافٌ وتَبْدِيلُ

٨. فَما تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بهَا ∴ كَما تَلَوَّنُ في أثْوَابِهَا الغُولُ

٩ـ ولا تُمسِكُ بالعَهْدِ الَّذِي زَعَمَتْ ∴ إلا كَما تُمْسِكُ الماءَ الغَرَابِيْلُ

١٠ـ فَلا يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ ∴ إنَّ الأمَانيَّ وَالأحْلامَ تَضْلِيلُ

١١ـ كَانَتْ مَوَاعِيْدُ عُرْقُوبٍ لها مَثَلًا ∴ وَمَا مَوَاعِيدُهَا إلا الأباطِيلُ

قال السيوطي: " فإن قيل: كيف ساغ له أن يصف محبوبته بهذه الصفات التي لا تليق أن يصف بها الشخص عدوه فضلًا عن حبيبه؟

فالجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن وصفه لها بهذه الأوصاف راجع إلى ما يتعلق بأحوال المحبة من الوصل والهجر وما شاكل ذلك، لا أنه وصفها بذلك على الإطلاق، وإذا كان ذلك خاصًا بأحوال المحبة لم يكن قادحًا في الموصوف به، فشأن المحبوب الهجر والتجني والإعراض والتعنت، ولا يكون

---

[1] السابق، ص١٦٣.

هجره مؤثرًا، ولا تعنته فى المحبة قادحًا... الثاني: أن يكون وصَفَهَا لتنفير الغير عنها، فربما سمع سامع وصفها بالحسن فبعثه ذلك على حبها، فكان ذلك سببًا لمباينتها له، فأراد أن يبين أنها مع ما وصفها به من الحسن سيئة العشرة، لا تفي بوعد، ولا تقف عند عهدٍ؛ لتقلَّ الرغبات في طلبها، وتنفر النفوسُ عن حبِّها " . [1]

ومثله ما ورد في قول كعب يمدح الصحابة:

٥٣ـ شُمُّ العرانين أبطالٌ لبوسُهُمُ ∴ من نسجِ داودَ في الهَيجَا سَرَابيلُ

قال السيوطي: " فإن قيل: كيف حَسُنَ مدحهم بلبس الدروع، والقتالُ دون لبسها أعلى فى رتبة الشجاعة، وقد أنكر عبد الملك بن مروان على كُثيرِّ حين امتدحه بقوله:

على ابن أبي العاصى دِلاص حصيفةٌ　　أجاد المُسدِّيُّ سردَها فأذالها
يؤمُّ ضعيف القوم حمل قناته　　ويستضلع القرمُ الأشمُّ احتمالَها

ولم يمدحه بمثل قول الأعشى في قيس بن معد يكرب:

وإذا أتى بكتيبة ملمومةٍ　　شهباء يخشى الدارعون نهالها
كنت المكرَّم غير لابسِ جُبَّةٍ　　بالسيف تضرب مُعْلِما أبطالَها

فالجواب: ما أجاب به كُثَيِّرٌ عبدَ الملك في قوله: يا أمير المؤمنين قد وصفتك بالحزم، ووصف الأعشى صاحبه بالجنون ... فإن الحزم دليل القوة الذي هو أشرف ما مُدح به من الخصال الشريفة، ومن تمام الحزم الاحتراز، كما أشار إليه كُثيِّر، ولذلك أمر الله تعالى به في قوله: { وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ } [2]، فيكون المدح بلبس الجُبَّة أتم، ولذلك ذهب إليه كعب في مدح المهاجرين

[1] كنه المراد، ص٢٢٠، ٢٢١، ٢٢١، ٢٢٢.
[2] النساء / ١٠٢.

". [1]

---

[1] كنه المراد، ٤١٤- ٤١٥.

المحور الرابع: التناسب والتعالق بين الأبيات.

حرص السيوطي في هذا المحور على توجيه التناسب والتعالق والترابط بين الأبيات، ونصَّ في كثير من المواضع على موقع كل بيتٍ من سابقه، وكشف عن العلاقات والروابط (المعنوية واللفظية) بينهما، لكنه لم يتوقف كثيرًا مع الروابط اللفظية كالضمائر، وأدوات العطف، وغيرها؛ لأن مجيء الروابط اللفظية بين الأبيات إيذان باتصال المعنى وترتبه.

وإنما ركز السيوطي في تحليله على التعالق والتناسب المعنوي بين الأبيات؛ لأنه يرى أن هذا النوع يكشف عن نسق الكلام، وإحكام معاقد معانيه، كما أنه أحد وجوه الإبانة التي يظهر بها ثراء الدلالة، وحسن ترتيب الكلام والإفصاح عن مراد المتكلم ومقصده. ويمكن إيجاز ملامح المنهج في هذا المحور تحت ثلاثة عناصر:

١ـ توجيه التناسب والتعالق بين البيت وسابقه:

وهذا النوع كثير عند السيوطي، وله علاقات متعددة ومتنوعة تبعًا لتنوع علائق المعاني ومقصود الشاعر، ومنها:

(أ) التدرج في استقصاء أنواع النسيب جريًا على عادة الشعراء في ذلك. ومن شواهده ما ورد في قول كعب:

١ـ بانتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ ∴ مُتَيَّمٌ إثْرَهَا لم يُفْدَ مَكْبُولُ

٢ـ وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إذْ رَحَلُوا ∴ إلا أغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

قال السيوطي: " والمعنى في البيت ظاهر، وحاصله أنه لما ذكر حال نفسه، وما أعقبه الفراق من الضنك؛ شرع في ذكر وصف محبوبته التي يهواها، وما اشتملت عليه من المحاسن التي لا يقدر معها على الأسف على فراقها وإتلاف المهجة في محبتها فشبهها بظبي موصوف بأحسن الصفات".[1]

فمعنى البيت الثاني مترتب على معنى البيت الأول ومتصل به، فالبيت الأول ذكر فيه حال المحب وما عراه بسبب الفراق، والبيت الثاني ذكر فيه وصف المحبوبة تدرجًا في ذكر أنواع النسيب المعروفة عند شعراء العرب.

(ب) الاستطراد والتفصيل: ومن شواهده قول كعب في وصف ثغر محبوبته وريقها:

٣ـ تَجلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إذَا ابْتَسَمَتْ ∴ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ

٤ـ شُجَّتْ بِذِي شَبِمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ∴ صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ

قال السيوطي: " ومعنى البيت الثاني: أن الماء الذي مُزجت به تلك الراح باردٌ صافٍ أخذ من منعطف الوادي في مسيل واسعٍ تربته دقاق الحصى، وكان أَخْذُهُ منه في وقت الضحى بعد أن ضربته ريح الشمال حتى برد، وذلك أنه لمَّا شبه ثغرها بمنهل معلولٍ بالراح على ما تقدم في البيت الذي قبله شرع في وصف الراح التي شبه الثغر بها، فوصفها أولًا بأنها مزجت بالماء.... ثم ذكر مزج الراح بالماء، واستطرد فوصف ذلك الماء، ثم الأبطح الذي أُخِذ منه الماء في البيت الرابع ". [2]

---

[1] كنه المراد، ص١٤٠.

[2] السابق، ص١٦٨-١١٣ (بتصرف)

(ج) تكميل الوصف وتأكيده: ومنه قول كعب في البيت التالي للبيتين السابقين:

٥ـ تَنْفِي الرِّيَاحُ القَذَى عَنْهُ وأَفْرَطَهُ مِنْ صَوْبِ سَارِيةٍ بِيضٌ يَعَالِيلُ

يقول السيوطي: " وذلك أنه لما وصف الماء الذي شجت به الراح في البيت الذي قبله بما يرجع حاصله إلى الكثرة والبرودة والصفاء على ما تقدم تقديره هناك، أتبعه في هذا البيت بما يؤكده، فوصفه بخمسة أوصاف ... ". (١)

ومما ورد أيضًا وعلاقته التأكيد، قول كعب يصف محبوبته بإخلاف الوعد:

٦. أَكْرِمْ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّها صَدَقَتْ مَوعُودَهَا أو لَوَ انَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ

٧ـ لكنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِهَا فَجْعٌ ووَلْعٌ وإِخْلافٌ وتَبْدِيلُ

يقول السيوطي: " وموقع البيت مما قبله؛ لو كان زيدٌ عالمًا لأكرمته، لكنه ليس بعالم ولا صالح، بمعنى أنه في البيت الذي قبله أشار إلى وصفين، وهما: إخلاف الوعد، وعدم قبول النصح، وفى هذا البيت ذكر أنها اشتملت على أربع خلال مستلزمة لما في البيت الذي قبله وزيادة ". (٢)

---

(١) **كنه المراد، ص١٨١.**

(٢) **السابق، ص٢٠٤.**

(د) زيادة البيان: ومن شواهده، قول كعب في وصف الناقة:

١٥ـ مِن كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إذا عَرِقَتْ ∴ عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأعْلامِ مجهُولُ

١٦ـ ترمي الغُيُوب بعيني مفردٍ لهقٍ ∴ إذا توقدت الحُزَّازُ والميلُ

يقول السيوطي مبينًا التعالق والترتيب بين البيتين: " وذلك أنه لمَّا ذكر في البيت الذي قبله أن هِمَّتَها الطريقُ الطامس الأعلام، المجهول المسالك؛ بيَّن في هذا البيت وجه اهتمامها بذلك، فشبهها بالثور الوحشي الذى قد ألف البراري والفلوات..." [١]

(هـ) تتميم المعاني: ومنه قول كعب في مدح الرسول ﷺ :

٣٨ـ أُنبئتُ أنَّ رسولَ الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمولُ

٣٩ـ مهلًا هداك الذي أعطاك نافلةَ الـ ـقرآن فيه مواعيظٌ وتفصيلُ

يقول السيوطي مبينًا التناسب والتعالق بين البيتين: "وهو كالتتمة للبيت الذي قبله؛ لاشتماله على تمام الاستعطاف في ثلاثة أوجه... ". [٢]

ومثله أيضًا، قوله في البيت الذي يليه:

٤٠ـ لا تأخذني بأقوال الوُشاة ولم أذنب وقد كثُرت فيَّ الأقاويلُ

يقول السيوطي مبينًا التعالق المعنوي بين هذا البيت وما قبله: " وهذا من تتمة الاستعطاف والتلطف في القول المتوصل به إلى استجلاب القلوب واستمالة الخواطر ". [٣]

---

[١] كنه المراد، ص٢٦٨.

[٢] السابق، ص٣٥٦.

[٣] نفسه، ص٣٦٠.

٢ـ توجيه التناسب بين البيت والأبيات السابقة داخل السياق:

والسيوطي لا يقتصر على بيان التعالق والتناسب الترتيبي بين البيت والبيت السابق عليه مباشرة، وإنما يوسع الدائرة ويرصد حركة المعنى داخل السياق؛ فيربط بين البيت ومجموع ما قبله من أبيات في إطار السياق أو المعقد. ومن شواهد ذلك ربطه بين قول كعب في وصف محبوبته بإخلاف الوعد وعدم قبولها النصح، وبين الأبيات السابقة التي وصف فيها محبوبته بالحسن والجمال:

٢ـ وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إذْ رَحَلُوا ... إلا أغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

٣ـ تَجلُوا عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إذَا ابْتَسَمَتْ ... كَأنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ

٤ـ شُجَّتْ بِذِي شَبِمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ... صَافٍ بِأبْطَحَ أضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ

٥ـ تَنْفِي الرِّيَاحُ القَذَى عَنْهُ وأفْرَطَهُ ... مِنْ صَوْبِ سَارِيةٍ بِيضٌ يَعَالِيلُ

٦ـ أكْرِمْ بِهَا خُلَّةً لَوْ أنَّهَا صَدَقَتْ ... مَوعُودَهَا أو لَوَ انَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ

يقول السيوطي: "ولما كانت سعاد من الحسن والجمال على الوصف الذي قدم ذكره إلا أنها كانت سيئة العشرة، قليلة الموافاة؛ تأسَّف عليها، لكونها لم تَكْمُل خلالُها، ولم تتم خصالها". [١]

فلمَّا كان البيت السادس مشعرًا بالتناقض وعدم التناسب لما قبله؛ إذ كيف يمدحها ويصفها بأحسن الصفات في الأبيات السابقة، بينما يصفها في البيت السادس بإخلاف الوعد وعدم قبول النصح؛ علَّ السيوطي لبيان الترتيب بمناسبة نفسية وهي (التأسف)؛ للربط بين البيت السادس وما قبله.

وإذا كان البيت تعليلًا لمجموع الأبيات السابقة داخل السياق أو المعقد؛

---

[١] كنه المراد، ص١٩٢.

فإن السيوطي لا يجد غضاضة في ربطه بها وترتيب معناه على حاصل معناها، ومما ورد من ذلك، قول كعب:

١٠ـ فَلا يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ ∴ إنَّ الأمَانيَّ وَالأحْلامَ تَضْلِيلُ

يقول السيوطي: " لا تغتر بما توحيه إليك من زخرف القول، وكذب الوعد، ولا تعلق خاطرك بذلك... وذلك أنه وصفها في البيت السابع، والثامن، والتاسع، بتسعة أوصافٍ، وهي: الإصابة بالمكروه، والكذب... ومن كان بهذه الصفة لا ينبغي أن يُوثَق له بقول، ولا يُتَعَلق له بوعد، ومن تعلق بالأماني، ووقف مع التمني فقد طمع في المحال ". [١]

ويوظف السيوطي خبرته النقدية، وذائقته البيانية في تلمس الأَوْلَى في الترتيب والتناسب بين الأبيات؛ فنراه يتجاوز الربط بين البيت وسابقه إلى ما هو أسبق منه؛ لأنه الأولى والأنسب.

ومن شواهد ذلك ما ورد في قول كعب يصف ناقته بالصلابة والسِّمن:

١٩ـ وجلدُها من أطوم لا يؤيسهُ ∴ طلحٌ بضاحية المتنين مهزول

٢٠ـ حرفٌ أخوها أبوها من مهجنةٍ ∴ وعمُّها خالها قوداءُ شمليلُ

٢١ـ يمشي القرادُ عليها ثم يُزلقُهُ ∴ منها لبانٌ وأقرابٌ زهاليلُ

يقول السيوطي: " ومعنى البيت: أن جلد هذه الناقة في غاية الملاسة؛ لسمنها بحيث إن القراد لا يثبت عليها... وهذا البيت في الحقيقة مؤكد لقوله: (وجلدها من أطومٍ... البيت) ولو ذكره إلى جانبه كان أولى، وذلك أنه في هذا

[١] كنه المراد، ص٢٣١.

البيت وصف جلدها بالصلابة بحيث إن الطِلْح الذي هو القراد لا يؤثر فيه لصلابته، وهذا قدر زائد على ذلك، وهو ملاسة جلدها، بحيث إن القراد يزلق من عليه ". [1]

٣ـ ضم الأبيات ذات التماسك في البناء والنظم:

كان من منهج السيوطي في شرح (بانت سعاد) تحليل كل بيت بمفرده، ثم ينتقل إلى ما بعده، وهكذا... إلا أنه يحرص في بعض المواضع على جمع وضم الأبيات ذات التلازم والتماسك في البناء والنظم ويشرحها معًا؛ إشارة إلى تمام التناسب والتعالق فيهما... ومن ذلك قول كعب في وصف هيبة الرسول ε:

٤١. لقد أقومُ مقامًا لو يقومُ به ∴ أرى وأسمع ما لو يسمع الفيلُ

٤٢ـ لظلَّ يَرْعُدُ إلاَّ أن يكون له ∴ من الرسول بإذن الله تنويلُ

يقول السيوطي: " هذان البيتان مرتبط أحدهما بالآخر مع تواليهما، فحسن الكلام عليهما جملة واحدة، والتقدير فيهما: لقد أقوم مقامًا لو يقوم به الفيل لظل يرعد إلا أن يكون له من الرسول تنويل ". [2]

ومثله أيضًا قول كعب:

٤٤ـ لذاك أهيبُ عندي إذ أُكلِّمُهُ ∴ وقيل إنك منسوبٌ ومسؤولُ

٤٥. من خادرٍ من لُيوثِ الأُسدِ مسكنُهُ ∴ من بطن عثَّرَ غيلٌ دُونهُ غيلُ[3]

وهكذا- كما ترى- فإن السيوطي راعى في تحليله بيان التناسب

---

[1] **كنه المراد، ص٢٨٩، ٢٩٠.**

[2] **السابق، ص٣٦٧.**

[3] **كنه المراد، ص٣٧٩.**

الترتيبي بين الأبيات، وأدرك أنها حلقات معنوية يتصل بعضها ببعض- تصاعدًا أو تناسلًا- لتشكل المعنى الذي يقصده الشاعر ويؤمه.

المحور الخامس: التناسب بين الجمل [١]

من معالم المنهج عند السيوطي في النظم الترتيبي، بيان التناسب بين الجمل، وهذا الوجه من التناسب هو أضيق مجالات النظم الترتيبي، ويقوم على تلمس العلاقات السياقية بين الجمل ومنازل الجمل من بعضها، وكيف ترتبت وانتظمت في مواقعها بحسب مقاصد المتكلم ومقتضيات الأحوال.

ولا شك أن النظر في التناسب الترتيبي بين الجمل من أدق وأغمض صور التناسب؛ لأنه باب متسع ليس له حد يحصره، ويحتاج إلى نظرة ثاقبة وقدرة على استبصار حركة المعنى ومقصود المتكلم داخل النص، وكيف تصاعدت المعاني وتولدت لتحقيق الغرض المنصوب له الكلام. [٢]

وقد تعددت شواهد هذا الوجه، وتنوعت علاقاته في شرح السيوطي لـ

---

[١] الجملة البيانية التي يُنْظر إليها في النظم الترتيبي تختلف عن الجملة النحوية المعروفة، فالجملة البيانية قد تكون جملة مديدة تحتضن في رحمها جملًا صغرى عديدة ترتبط بها ارتباطًا تركيبيًا عماده العلائق النحوية. فالآية القرآنية أو البيت الشعري قد يتشكل من مجموع جمل نحوية، لكل جملة منها استقلالها الإعرابي، ولكنها برغم من ذلك لا يتم معنى الكلام إلا بمجموع هذه الجمل النحوية، ولا يتأتى لك الوقوف على تمام المعنى البياني من الكلام إلا بمجموع هذه الجمل النحوية.
فآية الكرسي مثلًا تكونت من تسع جمل نحوية، لكنها جملة (بيانية) واحدة؛ لأن المعنى القرآني البياني مستفادٌ من الإحاطة بكل الجمل النحوية التي بنيت عليها. (راجع: الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، د/ محمود توفيق ص٢٤٢، وص٢٤٣).

[٢] راجع: الإمام البقاعي، د/ محمود توفيق ص٢٤١ وما بعدها، والتناسب في تفسير الإمام الرازي ص٦٣.

(بانت سعاد)، ومنه قول كعب في مطلع القصيدة:

١ـ بانتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ ∴ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لم يُفْدَ مَكْبُولُ

فهذه خمس جملٍ نحوية، تمثل جملة بيانية واحدة، وقد بيّن السيوطي كيف ترتبت وانتظمت في مواقعها ومدارج معانيها لتحقق مراد الشاعر منها، فقال: " والمعنى: أن قلبه بسبب فراق محبوبته صار في غاية الضنا والسقم، والأسر والذل، والقيد والسجن، لا يجد له هربًا من الأسر، ولا فكاكًا من الرق.

وذلك أنه لما كان مبنى ابتداء هذه القصيدة على الغزل والنسيب جريًا على عادة أكثر الشعراء في ابتداء قصائد المدح بمثل ذلك ... وكان من جملة أنواع النسيب ذكر ما في المحب من صفات المحبة والشغف ونحوه على ما تقدم بيانه، مع أن تأجيج نار المحبة، وتهييج بلابل الشوق إنما يعظم ويشتد عند حصول الفراق؛ صدر كلامه بذكر الفراق المقتضى لذلك؛ ليرتب عليه ما يأتي بعده من لوازم المحبة وعوارضها " [١]

فقد أدرك السيوطي برهافة حسَّه، ونفوذ ذوقه، أن جملة (بانت سعاد) في صدر المطلع هي الجملة الأم، التي تولدت وانسلت منها جمل أخرى ترتبت في معناها عليها، لاحظ قول السيوطي: (صدَّر كلامه بذكر الفراق المقتضى لذلك؛ ليرتب عليه ما يأتي بعده من لوازم المحبة وعوارضها). [٢]

ففراق المحبوبة ترتب عليه عوارض ألمت بالشاعر: (فقلبي اليوم متبول)، (متيم إثرها)، (لم يفد)، (مكبول).

---

[١] كنه المراد، ص١٢٢-١٢٣.

[٢] السابق، ص١٢٢، ١٢٣.

يقول السيوطي مبينًا التناسب الترتيبي بين الجمل: " ثم لما ذكر الفراق أشار إلى أن قلبه عرض له بسبب ذلك عوارض من منغصات الحب تأثر بها...

الأول: التبل، وهو المراد بقوله: (متبول)، فإن حملنا القلب في كلامه على الفؤاد، كان المراد بالتبل: الضنى والسقم، وذلك أنه استولى عليه الحب وغلب عليه العشق، وعراه السهر وتقليل الطعام والشراب، واستولى عليه الفكر والوسواس، فربما عرض له من ذلك رقٌ إثر الضنى والسقم في قلبه ثم سرى منه إلى سائر بدنه... وإن حملنا القلب في كلامه على العقل، كان المراد بالتبل: ضعف العقل، ويكون المعنى: أنه انتهى به الحب إلى الوله والهيام بحيث اختل عقله فصار كالمجنون الهائم على وجهه لا يدري أين يقصد ولا أين يتوجه ...

العارض الثاني: التَّتيم، وهو: الأسر والرق والذل، وإليه أشار بقوله: (متيمٌ)، وذلك أن المحب إذا تعلق قلبه بالمحبوب، واشتغل خاطره به، صار قلبه في يد محبوبه يتصرف فيه كيف شاء، ويديره في قبضته كيف شاء، فليس له منه مُخَلِّصٌ، ولا إلى غيره من مهربٌ، فأشبه الأسير المُسْتَعْبد الذليل في يد من أسره ...

العارض الثالث: منع الفدا، وهو المراد بقوله: (لم يُفْد) أي: لم يجد من يفديه فيخلُص من الأسر، فإذا طال أسره، ودام رقه، مع ما هو عليه من الضنى والسقم، انضم إلى ما هو فيه من ذلك ألم اليأس من الخلاص، فزاد ألمًا إلى ألمه، وشجنًا إلى شجنه ...

العارض الرابع: التقييد، وهو المراد بقوله: (مكبول) وذلك أن فيه تأكيدًا بعدم الخلاص؛ إذ الأسير إذا كان عريًّا عن القيد ربما أمكنه الهرب، وإذا اختار

الفراق، فإذا كان مقيدًا ضعفت قوته، وقلت حيلته، وأيضًا فإن في القيد زيادةَ مذلةٍ وإهانة ". [1]

فكلام السيوطي – كما ترى – يؤكد أن التناسب الترتيبي بين الجمل في البيت مبنيٌ على التناسل من الجملة الأم: (بانت سعاد)، ومبنىٌ كذلك على التصاعد في معاني الجمل النحوية المتتابعة في البيت، بحيث تضيف كل جملة معنى جديدًا إلى سابقتها فيتحقق التكامل في القصد.

وقد يكون التناسب بين الجمل مبنيا على مراعاة تكامل الوصف، كما في قول كعب:

٢ـ وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ∴ إلا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ[2]

يقول السيوطي مبينًا كيف تناسبت الجمل، وتعددت الأوصاف؛ لتحقق التكامل في الحسن: " ثم لماَّ شبهها بالظبي، وصفه بثلاث صفاتٍ تستحسن في الظبي: الصفة الأولى: الغنة في الصوت، وهو مما يلتذ بسماعه... الصفة الثانية: غض الطرف، فإن حملنا معناه على كسر الجفون وفتورها، كان ذلك من باب الزيادة في الحسن والجمال، إذ النفوس تميل إلى ذلك في الغالب وترغب إليه... وإن حملناه على الحياء والخفر؛ كان أبلغ في ذلك؛ إذ الحياء مما يمتدح به عقلًا وشرعًا... الصفة الثالثة: سواد العيون، وهو المراد بقوله: (مكحول)، وهذا في غاية المدحة ؛ فسواد العيون مما يستحسن وتميل إليه النفوس ... بل هو أكمل من الحسن في الفتور في الجفون، وأعلى رتبة في

---

[1] كنه المراد، ص١٢٥، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠ ،١٣٢، ١٣٣، ١٣٤.

[2] المعنى: وما سعاد غداة البين إذ رحلوا . وهي معهم . إلا كظبي أغن الصوت، غضيض الطرف، مكحول العين. (كنه المراد، ص١٣٩).

الجمال، وأشد تأثيرًا في القلوب ".[١]

ثم يبين السيوطي أسرار الترتيب بين الجمل، فيقول: " فإن قيل: لم قدَّم وصف الغنة على وصف غض الطرف، ووصف غض الطرف على وصف الكحل؟

فالجواب: أن الغنة من صفات الصوت والغالب سماعه مع عدم الرؤية، ثم تلاه بوصف غض الطرف الذي لا يمكن النظر إليه إلا مع انطباق الجفن، ثم أتبعه بذكر الكحل الذي لا يمكن رؤيته إلا مع انفتاح العين، وكأنه لمَّا سمع صوتها استحلاه، فدعاه ذلك إلى رؤيتها، فاحتال على نظرها، فرأى جفنها منسدلًا لغلبة الحياء عليها، فدعاه ذلك إلى رؤية داخل عينها، فسارقها النظر حتى رآها، فرأى في كل الحالات ما أبهج خاطره، وهيج بلابله، والله تعالى أعلم بالصواب ". [٢]

وبالجملة فشواهد هذا الباب كثيرة في شرح السيوطي، حتى إنها تكاد تستغرق كل الجمل البيانية في (بانت سعاد).

ولماَّ كان التناسب من أهم معالم المنهج الذي اعتمد عليه السيوطي في تأويل بلاغة (بانت سعاد)؛ فإننا نراه يدفع الشبه التي يوهم ظاهرها عدم التناسب بين الجمل، ويتأول وجه التناسب فيها لبيان الترابط والتلاحم، ومن شواهد ذلك ما ورد في قول كعب:

---

[١] كنه المراد، ص١٤٢ . ١٤٦ . ١٤٧ . ١٤٨.

[٢] السابق، ص١٥١.

١٢ـ أَرْجُـو وآمُـلُ أَنْ تَـدْنُو مَوَدَّتُهـا ∴ وَمَــا إِخَــالُ لَــدَيْنَا مِنْــكِ تَنْوِيْــلُ

قال السيوطي: " فإن قيل: كيف ساغ له نفي حصول المودة بقوله: (وما إخال لدينا منك تنويل) بعد رجائه بقوله: (أرجو وآمل أن تدنو مودتها)؟

فالجواب عنه من وجهين: أحدهما: ما أجاب به ابن هشام: أن المودة والتنويل شيئان لا شيء واحد، ولا يمتنع أن توده بقلبها وتمنعه من نوالها. والثاني: أن يكون نفي حصول التنويل من حيث بُعْدُها ونزوح أرضها كما أشار إليه في البيت الذي يليه [١]، والله أعلم ". [٢]

---

[١] وهو قوله: أمست سعاد بأرضٍ لا يبلغها   إلا العتاق النجيبات المراسيلُ

[٢] كنه المراد، ص٢٤٧. وشرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام ٢٠٥.

المبحث الثالث

(بلاغة النظم التركيبي وأبعاده الجمالية)

* المحور الأول: بلاغـة المفردة.
* المحور الثاني: بلاغـة الجملة.
* المحور الثالث: بلاغـة الجمل.
* المحور الرابع: بلاغـة الصورة البيانية.
* المحور الخامس: بلاغـة الألوان البديعية.

المبحث الثالث

(بلاغة النظم التركيبي وأبعاده الجمالية)

توطئـة:

اهتم السيوطي بإبراز بلاغة النظم التركيبي في (بانت سعاد)، سالكًا في ذلك منهجًا تطبيقيًا يقوم على تذوق النص وتحليله تحليلًا دقيقًا يُظْهر الجمال في النظم والصياغة، ويربط الأسلوب بالسياق والمقاصد، ويتلمس الأسرار والدلالات المرادة، كما أنه لا يغفل تعزيز التوجيه البلاغي بالشواهد المتنوعة، أو السياق الخارجي، ونحوه.

ولا شك أن هذا المنهج التذوقي هو أمثل المناهج في تحليل بلاغة النص الشعري؛ لأنه يُعدُّ إثراءً للبحث البلاغي، وكشفًا عن جماليات النص من جهة، وعن ذوق السيوطي وحسِّه المرهف من جهة أخرى.

وقد تنوعت نظرة السيوطي في مسائل النظم التركيبي، فاستوعبت بلاغة: (المفردة، والجملة، والجمل، والصور البيانية، والألوان البديعية).

المحور الأول: بلاغة المفردة

مفردات التراكيب هي اللبنات التي يقوم عليها نظم الكلام وتأليفه، ولا شك أن الدقة في اختيار المفردات وتوظيفها في سياقاتها المناسبة لتؤدي دلالة مقصودة أو غرضًا بعينه؛ يعدُّ من صميم الدرس البلاغي؛ لما تحققه من قيمة فنية وجمالية تبرز في " الوفاء بالمعنى، والإمتاع بالجمال ". [1]

وقد أدرك السيوطي أن كعب بن زهير برع في اختيار المفردات المعبرة عن المعنى بدقة فائقة؛ فراح يكشف .كثيرًا .في تحليله عن بلاغة هذه المفردات، ويُظهر حسن تناسقها وانتظامها، ودقة أدائها لمعناها في سياقها الأشكل بها، وما تشيعه هذه اللفظة أو تلك من إيحاءات تجسِّد المعنى المراد، وتصور ما في نفس قائلها تصويرًا صادقًا.

والمتأمل لكلام السيوطي في إبراز بلاغة اللفظة المفردة يلحظ تنوع الجوانب، فمنها:

---

[1] بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د/ منير سلطان، ص٥٠، ط / منشأة المعارف بالإسكندرية.

١ـ تلمس السر البلاغي في دقة الاختيار وخصوصية الدلالة:

وهذا الجانب وردت له شواهد كثيرة في شرح السيوطي ففي قول كعب:

١ـ بانتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ ∴ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لم يُفْدَ مَكْبُولُ

قال السيوطي: " ثم لمَّا ذكر الفراق أشار إلى أن قلبه عرض له بسبب ذلك عوارض من منغصات الحب تأثر بها، وخص ذلك (بالقلب) دون سائر الجسد؛ إشارة إلى أن القلب هو المتأثر بالمحبة، وعنه تنشأ عوارضها من الضنا والسقم وغير ذلك، قال الزمخشري: لا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد، ولا أشدَّ تألمًا بأذاه منه، وأيضًا فإن القلب هو المعتبر والمعول عليه في الجسد، وسائر الأعضاء أتباعه ". [١]

وفى قول كعب، يصف الخمر التي شبه ثغر محبوبته بها:

٤ـ شُجَّتْ بِذِي شَبِمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ∴ صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ[٢]

يقول السيوطي مبينًا الملاءمة والدقة في اختيار الوصف المناسب للسياق والغرض: " فإن قيل: لأي معنى اختار ذكر الممزوجة فى كلامه على الصرفة، حيث قال: (شجت)؟

---

[١] كنه المراد، ص١٢٥ ـ ١٢٦. وينظر: تفسير الكشاف للزمخشري ٤/٧٩٦.

[٢] شجت: مزجت. بذي شبم: بماء شديد البرد. محنية: ما انعطف من الوادي، بأبطح: الأبطح مسيل الماء الواسع الذي فيه دقاق الحصى. أضحى: دخل في وقت الضحى. مشمول: ضربته ريح الشمال.[كنه المراد ص١٦٧] .

فالجواب من وجهين: الوجه الأول: أن الصرف من حيث الطب حار يابس، والممزوج حار رطب، فالمزج ينقلها من اليبوسة إلى الرطوبة ويردها إلى التعديل بعد الإفراط. الثاني: أن الصرف قد يؤدي إلى زوال الشعور، وذهاب الحسِّ، فيصير إلى حيث لا يدري ما يقال عنده، ولا يدرك ما يجرى في مجلسه، فيذهب بذلك نشاطها، ويبقى خمارها، ويرجع شاربها من حال اليقظة إلى حال النوم، ومن الصحة إلى حالٍ يشبه الموت ". [١]

ويكشف السيوطي عن الدقة في مفردات البيت، فيقول: "وإنما خص ماء (محنية) بالذكر؛ لأنه يكون أصفى وأبرد، وذلك أن الرياح تتراكم فيه لانعطافه فتبرده ". [٢]

ويبين الدقة في التخصيص بريح الشمال دون غيرها، فيقول: " فإن قيل: لم خص ريح الشمال بالذكر دون غيرها؟ فالجواب: أن ريح الشمال أشد تبريدًا للماء من غيرها من الرياح خصوصًا بأرض الحجاز، لرقتها ولطافتها، وغيرها من الرياح ليس كذلك ". [٣]

وقد تكون الدقة راجعة إلى اختيار صيغة صرفية معينة، دون غيرها، ومن شواهد ذلك ما ورد في قول كعب:

١٠ـ فَلا يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ ∴ إنَّ الأَمَانيَّ وَالأَحْلامَ تَضْلِيلُ

يقول السيوطي: " والتضليل: تفعيل من الضلال، والمراد التضييع

---

[١] كنه المراد، ص١٧٠.

[٢] السابق، ص١٧٥.

[٣] نفسه، ص١٧٦.

والإبطال، ومنه قوله تعالى: (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ) [١]، والأصل أن الأماني والأحلام ذوات تضليل، فيجعلها هي نفس التضليل للمبالغة، كما في قوله تعالى: (هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ) [٢]، أي: ذوو درجات عند الله ". [٣]

٢ـ النظر في الفروق بين الألفاظ من حيث المادة أو الهيئة:

ويتمثل هذا الجانب عند السيوطي في العناية بالمعنى الدقيق للكلمة، والفروق بين الألفاظ التي يتوهم البعض ترادفها التام، سواءً من حيث الدلالة المعجمية أو البنية الصرفية. ومن ذلك، ما ورد في شرحه لقول كعب:

١٢ـ أَرْجُو وآمُلُ أنْ تَدْنُو مَوَدَّتُها ∴ وَمَا إخَالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تَنْوِيلُ

حيث بيّن السيوطي الفرق بين قوله: (أرجو) و(آمل) وسر الجمع بينهما في موضع واحدٍ، فقال: " قوله: (أرجو) أي: يغلب على ظني، تقول: رجوت الشيء أرجوه رجاءً بالمد إذا غلب على ظنك حصوله، وقوله: (آمل)، معناه: أرجو أيضًا، إلا أن الرجاء لا يكون إلا في الممكن، والأمل يكون في الممكن والمستحيل، ولذلك حصل الجمع بينهما لحصول مغايرة ما ". [٤]

ويدرك السيوطي دقة الشاعر واختياره لكلمة (ظل) دون (صار) في قول كعب بن زهير:

٤١. لقد أقومُ مقامًا لو يقومُ به ∴ أرى وأسمع ما لو يسمع الفيلُ

٤٢ـ لظلَّ يَرعُدُ إلاَّ أن يكون له ∴ من الرسول بإذن الله تنويلُ

---

[١] سورة الفيل / ٢.

[٢] سورة آل عمران / ١٦٣.

[٣] كنه المراد، ص٢٣٩.

[٤] السابق، ص٢٤٣.

فيقول: " وقوله في البيت الثاني: (لظل يرعد) بالظاء المعجمة، معناه: لصار، إلا أن (ظل) يقتضي ثبوت الفعل ودوامه، كما في قوله تعالى: (وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) [1]، وقوله: (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) [2]، ونحو ذلك " [3]

ومن الألفاظ التي أدرك السيوطي الفرق بينها في المعنى وإن أوهم ظاهرها الترادف، الجمع بين لفظتي (الليث) و(الأسد) في قول كعب:

٤٤ـ لذاك أهيبُ عندي إذ أُكلِّمُهُ ∴ وقيل إنك منسوبٌ ومسؤولُ

٤٥. من خادرٍ من لُيوثِ الأُسدِ مسكنُهُ ∴ من بطن عثَّرَ غيلٌ دُونهُ غيلُ

يقول السيوطي: " فإن قيل: إذا كان الليث اسمًا للأسد، صار التقدير: لذلك أهيب من خادر من أشدِّ الأسد، ولا معنى له؟

فالجواب: أن (الليث) اسم للأسد تقييدًا لجلادته، كما أن الحسام اسم للسيف بصفة الحسم وهو القطع، يقال: رجل ليث، إذا كان شديد الجلادة، وحينئذ يكون بين الليث والأسد مغايرة ما، ويكون التقدير: لذلك أهيب عندي من خادرٍ من أجلد الأُسد وأقواهم ".[4]

ومن الألفاظ التي أدرك السيوطي الفرق بينها من حيث البنية الصرفية: (وعد) و(أوعد)، حيث وضح السياق الذي ترد فيه كل بنية، ومن مواضعه قول

---

[1] الروم / ٥١.

[2] الحجر / ١٤.

[3] كنه المراد، ص٣٦٨.

[4] السابق، ص٣٨٣.

كعب:

١٠ـ فَـلا يَغُرَّنْـكَ مَـا مَنَّـتْ وَمَـا وَعَدَتْ ∴ إنَّ الأمَـــانيَّ وَالأحْـــلامَ تَضْـــلِيلُ

قال السيوطي: " وعد بغير ألف في جانب الخير، كما هو في هذا الموضع، ومنه قوله تعالى: (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً) [١]، وربما وقع في جانب الشر بغير ألف أيضًا إذا دلت عليه قرينة، كما في قوله تعالى: (وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) [٢] ". [٣]

ومن مواضعه أيضًا قول كعب:

٣٨ـ أُنبئـتُ أنَّ رسـولَ الله أوعـدني والعفـو عنـد رسـول الله مـأمولُ

قال السيوطي: " والوعد في الخير، والإيعاد في الشر، قال الشاعر:

وإنـــي إذا واعدتـــه أو وعدتـــه ∴ لمخلف إيعادي ومنجز موعدي [٤]

ولهذا قال بعض فصحاء العرب في دعائه: " (يا من إذا وعد أوفى، وإذا أوعد عفا)... وإنما يستعمل (وعد) في الشر مقيدًا، كقوله تعالى: (النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) [٥] ". [٦]

٣ـ النظر في التناوب بين الأدوات والألفاظ:

التناوب أو التبادل بين الأدوات والألفاظ ظاهرة شائعة عند النحويين

---

[١] الأعراف / ١٤٢.

[٢] غافر / ٢٨.

[٣] كنه المراد، ص٢٢٨ ـ ٢٢٩.

[٤] ذكر محقق الكتاب أن البيت لعامر بن الطفيل في ديوانه ص٩٤ [كنه المراد ، ص٣٤٦].

[٥] الحج / ٧٢.

[٦] كنه المراد، ص٣٤٦ ـ ٣٤٧.

لقصد التوسع في الاستعمال أو من قبيل المعاوضة والمقارضة، لكنه عند البلاغيين لا يخلو من نكتة أو إيحاءٍ لطيف.

ومن شواهد هذا الجانب ما ورد في قول كعب:

٣٨ـ أُنبئتُ أنَّ رسولَ الله أوعدني ∴ والعفو عند رسول الله مأمولُ

الأصل أن يقول: (العفو من رسول الله مأمول)، لكن الشاعر " أتى بـ (عند) ولم يأت بـ (من)؛ لأن (عند) أدلُّ في التفخيم، ولقوة الرجاء؛ لأنه قد ثبت وتواتر أن الصفح من أخلاقه ε، وغريزة من غرائز الكرام " . [١]

ومنه أيضًا ما ورد في قول كعب يصف ناقته:

٢١ـ يمشي القرادُ عليها ثم يُزلقُهُ ∴ منها لَبَانٌ وأقرابٌ زهاليلُ[٢]

قال السيوطي: " فإن قيل: عطف قوله (يزلقه) بـ(ثم)، وهو للتراخي، لأنك إذا قلت: جاء زيد ثم عمرو، كان يقتضي ذلك أن بين مجيئهما زمن مهلة، فإن كان كذلك فمقتضى قوله: (يمشى القراد عليها ثم يزلقه منها لبان... إلى آخر البيت)، أن القراد لا يزلق عنها بسرعة، بل يبقى زمانًا.

الجواب: أن (ثم) قد تقع في كلام العرب لغير الإمهال، كما في قول الشاعر:

كهز الردُّيني تحت العجاج ∴ جرى في الأنابيب ثم اضطرب [٣]

---

[١] كنه المراد، ص٣٤٧.

[٢] معنى البيت: أن جلد هذه الناقة في غاية الملاسة لسمنها، بحيث إن القراد لا يثبت عليها بل إذا وقع على جسدها زلق وسقط عنه، وذلك مما يستحسن في أوصاف الإبل [كنه المراد، ص٢٨٩].

[٣] البيت لأبي دؤاد الإيادي [راجع: المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة ٥٨/١،

إذ ليس المراد تأخر اضطراب الرمح عن زمن جريان هذه الأنابيب، فكذلك لا يراد هنا تطاول مشي القراد عليها، وتراخي الإزلاق عنها ". [1]

فالسيوطي يرى أن (ثم) نابت مناب (الفاء) في دلالتها على مجرد الترتيب، وهذه الدلالة تتلاءم مع مقصود الشاعر من وصف ناقته بالسمن والملاسة.. وأرى أن (ثم) جاءت لترتب غير المتوقع، فالقراد في الأصل لا يزلق من فوق جلد الناقة، ولكن الذي حدث شيء آخر وهو غير متوقع.

وهامش كنه المراد، ص٢٩٠] .

[1] كنه المراد، ص٢٩٠.

المحور الثاني: بلاغة الجملة

الجملة تركيب نظمي يتألف من كلمات تدل على معنى، وأقل ما تتركب منه الجملة (المسند إليه) و(المسند)، وما زاد على ذلك فهو قيد فيها، والرابطة التي تربط بين المسند إليه والمسند هي رابطة الإسناد الذي هو أصل الحكم ومناط الفائدة.

ومجال البحث في الجملة متسع، لذا سوف أذكر أهم أساليبه التي ركز عليها السيوطي، ومنها:

أولًا ـ الخبر والإنشاء:

١ـ أغراض الخبر: **أشار السيوطي لفائدة الخبر، في قول كعب:**

٤٤ـ لـذاك أهيـبُ عنـدي إذ أُكلِّمُـهُ ∴ وقيـل إنـك منسـوبٌ ومسـؤولُ

فقال: " (إنك منسوب ومسؤول) ما المعنى في مساءلته عن نسبه، وأي غرضٍ يتعلق بذلك؟ فالجواب: أن ذلك من باب التوبيخ والتقريع له؛ إذ كان قد أوى إلى قبيلة مُزَيْنة لتجيره من النبي ε ، فأبت ذلك على ما تقدم في أول الشرح، وكأنه يقول مَنْ قبيلتك التي تجيرك علىّ وقومك الذين يعصمونك مني؟ فقد برئوا منك وتخلوا عنك ". [١]

٢ـ الإنشاء غير الطلبي: **وقد أشار السيوطي إلى بعض أساليبه، ونذكر منها: إنشاء الذم في قول كعب:**

٣٦ـ فقلتُ خلوا سبيلي لا أَبَا لَكُمُ ∴ فكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحمنُ مفعولُ

قال السيوطي: " وقوله: (لا أبالكم) نفي للأب عنهم كما يقولون: لا أبا

---

[١] **كنه المراد، ص٣٨٢.**

لك، وهي كلمة تقولها العرب تقصد بها الذم تارة والمدح أخرى ... ولما يئس من نصرة أخلائه قال ذامًا لهم ومنتهكًا لهم بقوله: (لا أبا لكم) ". [١]

٣- النهي: **وقد أشار السيوطي إلى المعنى البلاغي المستفاد من دلالة النهي، في قول كعب:**

٤٠- لا تأخذني بأقوال الوُشاة ولم ∴ أذنب وقد كثُرت فيَّ الأقاويلُ

يقول: " قوله: (لا تأخذني بأقوال الوشاة) سؤال وتضرع، لا نهي وأمر، إذ النهي لا يكون إلا من الأعلى لمن دونه، ومقام النبي ε معلوم ". [٢]

ثانيًا: المجاز العقلي:

أشار السيوطي إلى التجوز الإسنادي في نظم كعب للجملة ومن ذلك قوله:

٥- تَنْفِي الرِّيَاحُ القَذَى عَنْهُ وأفْرَطَهُ ∴ مِنْ صَوْبِ سَارِيةٍ بِيضٌ يَعَالِيلُ[٣]

قال السيوطي: " والرياح عبارة عن هواءٍ يتحرك، وكونه متحركًا ليس لذاته، وإلا لدامت الحركة بدوام ذاته، فلابد وأن يكون بتحريك الفاعل المختار وهو الله سبحانه وتعالى، كما قال: (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ) [٤] **".** [٥]

---

[١] **كنه المراد، ص٣٣٧.**

[٢] **السابق، ص٣٥٩.**

[٣] **تنفى: أي تطرد، ومعنى البيت: أن الرياح عند هبوبها تطرد ما بذلك الأبطح من قذى، ثم جاءت سحابة بالليل فأمطرته حتى امتلأ وفاض [كنه المراد، ص١٨١ بتصرف] .**

[٤] **الروم / ٤٨.**

[٥] **كنه المراد، ص١٧٧.**

وقد تكون العلاقة المجوزة للإسناد هي (الشهرة) أو الاختصاص بهذا الاسم أو اللقب، كما في قول كعب:

٣٤ـ تسعى الوشاةُ جنابيها وقولهُمُ ∴ إنك يا ابن أبي سلمى لمقتولُ

يقول السيوطي: " وأراد (بابن أبى سُلْمى) كعب بن زهير بن أبى سُلْمى، نسب بنوته إلى جده، كما في قوله ε: (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب) و(سُلْمى) بضم السين، قال علماء الحديث: وليس في العرب سُلْمى بضم السين غيره " . [١]

ثالثًا: الحذف:

أبان السيوطي عن كثير من مواضع الحذف وصوره في (بانت سعاد)، وكشف عن أسرارها البلاغية، وقيمتها الفنية. فمن شواهد حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، ما ورد في قول كعب:

٢ـ وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إذْ رَحَلُوا ∴ إلا أغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

قال السيوطي: " أي: وما سعاد غداة البين إذ رحلوا وهي معهم، إلا ظبيٌ أغن الصوت ".[٢] **، ويبين السر في حذف الموصوف وإقامة الوصف مقامه، فيقول: " والأغن: من صفات الظبي، فصار لغلبة الاستعمال كأنه مختص به ".** [٣]

ومما ورد من شواهد حذف الفاعل، قول كعب:

٣٨ـ أُنبئتُ أنَّ رسولَ الله أوعدني ∴ والعفو عند رسول الله مأمولُ

---

[١] **السابق، ص٣٣١.**

[٢] **نفسه، ص١٣٩.**

[٣] **كنه المراد، ص١٤٠.**

قال السيوطي: " ومعنى (أنبئت) أي: أخبرت... وترك ذكر الفاعل هنا لأمرين: الأول: أنه لا يتعلق بتعيينه غرضٌ، ومثله قوله تعالى: (إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المَجَالِسِ فَافْسَحُوا) [1]... الثاني: أن مقام الاستعطاف يناسبه أن لا يُحَقق الخبر بالوعيد، بل أن يؤتى به ممرَّضًا، كما يقال: رُوى كذا ". [2]

ومما ورد من حذف المفعول، قول كعب في وصف الناقة:

٢٤. تُمِرُّ مثل عسيب النخل ذا خُصلٍ ∴ في غارزٍ لم تخوّنهُ الأحاليلُ

قال السيوطي: " قوله (تُمِرُّ) بضم التاء المثناة من فوق، مضارع (أَمَرَّ) منقول بالهمزة من (مرَّ)، وفاعله ضمير الناقة، و(مثل) صفة المحذوف، أي: ذَنَبًا مثل عسيب النخل " [3]

فالسُّر في حذف المفعول هنا هو العلم به بقرينة السياق والوصف في قوله (ذا خُصلٍ) أي: شعر كثير.

ومما ورد من حذف القسم، قول كعب في وصف هيبة الرسول ﷺ :

٤١ـ لقد أقومُ مقامًا لو يقومُ به ∴ أرى وأسمع ما لو يسمع الفيلُ

٤٢ـ لظلَّ يَرعُدُ إلاَّ أن يكون له ∴ من الرسول بإذن الله تنويلُ

قال السيوطي: " وقوله في البيت الأول (لقد أقوم) فيه قسم محذوف؛ لأن (لقد) يكون جوابًا للقسم، إما ملفوظ به، كما في قوله تعالى: (قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ

---

[1] المجادلة / ١١.

[2] كنه المراد، ص٣٤٥ ـ ٣٤٦.

[3] السابق، ص٢٩٩.

آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا) [1]، وإما مقدر، كما في قولـه تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [2] ، ويروى: (إني أقوم مقامًا) والروايـة المشـهورة الأولـى، وهي أبلغ في المعنى؛ لتأكدها بالقسم المحذوف " [3]، فقد أشار السيوطي إلـى السر من حذف القسم ، وهو التأكيد.

رابعًا: خروج الكلام عن مقتضى الظاهر:

قـد يـأتي الكـلام البليـغ مخالفًـا لمـا يتبـادر إلـى ذهـن السـامع بحسـب الظـاهر، وهذا العدول فـي النظم لا يكون إلا لسر بلاغي يؤثر فـي المخاطب، ويشد انتباهه ويقرر المعنى في نفسه. وقد وقف السيوطي على كثير من صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، وكشف عن أسرارها البلاغية، ومنها:

١ـ وضـع الاسم الظـاهر موضـع الضـمير: **قد يقتضي المقام ونسق الكلام الظاهر الإتيان بالضمير لتقدم مرجع الضمير، لكن المتكلم يؤثر الإتيان بالاسم الظاهر؛ لما يحمله هذا العدول من المعاني والإشارات التي لا توجد مع التعبير بالضمير، ولما يحمله هذا الأسلوب من أسرار ولطائف تختلف باختلاف المقام.**

فقد يوضـع الاسـم الظـاهر موضـع الضـمير لقصد تعظـيم المحبـوب، أو التلذذ بذكر اسمه، ومما ورد من ذلك قول كعب:

١ـ بانـتْ سُـعَادُ فَقَلْبِـي اليَـوْمَ مَتْبُـولُ ∴ مُتَـيَّمٌ إِثْرَهَـا لـم يُفْـدَ مَكْبُـولُ

٢ـ وَمَـا سُـعَادُ غَـدَاةَ البَـيْنِ إِذْ رَحَلُـوا ∴ إلا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

قـال السيوطي: " وأعـاد ذكرهـا (سـعاد) للتعظـيم، كمـا فـي قولـه تعـالى:

---

[1] يوسف / ٩١.

[2] الأحزاب / ٢١.

[3] كنه المراد، ص٣٦٧ ـ ٣٦٨.

(وَأَصْحَابُ اليَمِينِ مَا أَصْحَابُ اليَمِينِ)[1]، أو لأن اسم المحبوب مما يلتذ بذكره، ولله در القائل:

يا من إذا ذكر اسمه في مجلس ∴ لذ الحديث به وطاب المجلس [2]

وقد يكون سر ترك الضمير والإتيان بالاسم الظاهر هو بناء معقد جديد من معاقد المعاني يتعلق بالنظم الترتيبي بين المعاني والمقاصد، وقد تنبه السيوطي إلى هذا السر البلاغي عند شرحه لقول كعب:

١٣ـ أمْسَتْ سُعُادُ بِأَرْضٍ لا يُبَلِّغُهَا ∴ إلا العِتَاقُ النّجِيْبَاتُ المرَاسِيلُ

قال السيوطي: " و(سعاد) هي المحدَّث عنها أولًا، وأعاد اسمها بعد قوله: (أرجو وآمل أن تدنوا مودتها) بلفظ الغيبة؛ لأنه قصد استئناف نوعٍ آخر من الكلام، وهو وصف أرضها بالبعد، وذكرُ ما يُتَوصَّلُ بذلك من وصف الناقة ".[3]،وهذا توجيه واعٍ من السيوطي بحركة المعنى في النص يحسب له.

وقد يكون سر العدول عن الإضمار إلى الإظهار، التفخيم وطلب الاستعطاف، وقوة الرجاء لاسيما إذا عُرف وشهر بذلك، ومنه قول كعب:

٣٨ـ أُنبئتُ أنَّ رسولَ الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمولُ

قال السيوطي: " وفى البيت إعادة ذكر (رسول الله ε) لإظهار التفخيم والتعظيم، ولهذا أتى بـ (عند) ولم يأت بـ(مِنْ)؛ لأن (عند) أدلُّ في التفخيم، ولقوة

---

[1] الواقعة / ٢٧.

[2] لم أقف على قائله، وانظر: كنه المراد، ص١٤٠ ـ ١٤١.

[3] كنه المراد، ص٢٥٠.

الرجاء ". [1]

٢ـ الالتفات: **عدَّ السيوطي (الالتفات) نوعًا من أنواع البديع** [2]**، وقد جعله في كتاب: (الإتقان في علوم القرآن) من بدائع القرآن، وذكر فائدته فقال: " وله فوائد، منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال، لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوالٍ واحد "** [3]

وقد لاحظ السيوطي تحولات الضمير وحركته العدولية في (بانت سعاد)، ونص على ذلك في كل موضع ورد فيه الالتفات. ومن هذه المواضع التي التفت فيها الشاعر من (التكلم) إلى (الخطاب)، قوله:

١٠ـ فَلا يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ ∴ إنَّ الأَمَانيَّ وَالأَحْلامَ تَضْلِيلُ

قال السيوطي: " صدَّر الكلام في البيت الأول من القصيدة بصيغة التكلم، بقوله: (فقلبي اليوم متبول)، ثم رجع هنا من التكلم إلى الخطاب لنفسه، بقوله: (فلا يغرنك ما منت وما وعدت)، فيكون قد انتقل من التكلم إلى الخطاب " [4]**.**

والموضع الثاني الذي التفت فيه الشاعر، قوله:

١٢ـ أرْجُو وآمُلُ أنْ تَدْنُو مَوَدَّتُها ∴ وَمَا إخَالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تَنْوِيلُ

قال السيوطي: " التفت من الخطاب في قوله: (فلا يغرنك...) إلى التكلم

---

[1] **كنه المراد، ص٣٤٧.**

[2] **السابق، ص٢٢٨.**

[3] **الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣ / ٢٨٩.**

[4] **كنه المراد، ص٢٢٨.**

في قولـه: (أرجو وآمل)، ويكون قد رجع إلى حال التكلم الأولى ". [١]

والموضع الثالث الذي التفت فيه الشاعر، قولـه:

٣٩ـ مهـلًا هداك الـذي أعطـاك نافلـةَ الـ ∴ ـقرآن فيـه مـواعيظُ وتفصـيلُ

قال السيوطي: " قولـه: (مهلًا) أي: امْهَل علىَّ مهلًا يخاطب بذلك النبي ε فالتفت فيه من الغيبة في قولـه فى البيت الذي قبلـه (أنبئت أن رسول الله أوعدني) إلى الخطاب بقولـه: (مهلا) " [٢].

٣ـ القلب: **[٣] ومن شواهده التي نص عليها السيوطي، وكشف عن بلاغتها، قول كعب:**

٢٨ـ كـأنّ أوب ذراعيهـا إذا عرقـت ∴ وقـد تلفّـع بـالقور العسـاقيلُ[٤]

قال السيوطي مبينًا موضع القلب وبلاغته، " والتقدير: (وقد تلفعت العساقيل بالقور)؛ إذ الجبال الصغار هي التي تلتحف بالسراب لا أنَّ السَّراب يلتفع بها، فوقع القلب في كلامه كما تقول: أدخلت القلنسوة في رأسي، والمراد:

---

[١] السابق، ص٢٢٨، يشير بحال التكلم الأولى، قولـه في البيت الأول من القصيدة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

[٢] كنه المراد، ص٣٥٥.

[٣] القلب، هو " أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر، نحو: عرضت الناقة على الحوض، والأصل: عرضت الحوض على الناقة؛ لأن المعروض عليه يجب أن يكون ذا شعور واختيار، لأجل أن يميل للمعروض أو يحجم عنـه "، وقد اشترط بعض العلماء لقبولـه أن يتضمن اعتبارًا لطيفًا. [راجع: المطول ص١٣٧، وشروح التلخيص ٤٨٦/١)

[٤] القور: الجبل الصغير.. تلفع: التحف.. العساقيل: السراب. [كنه المراد، ص٣١٤] .

أدخلت رأسي في القلنسوة " [1]. ثم بين السيوطي الاعتبار اللطيف الداعي إلى القلب، وهو الإشارة إلى " قوة السراب وغلبته بالمفازة، حتى إنه على صغار الجبال وعظامها، وذلك لا يكون إلا في وقت الهاجرة ". [2]

٤ـ وضع الجمع موضع المفرد: **ومن شواهده ما ورد في قول كعب:**

٢ـ وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إذْ رَحَلُوا ∴ إلا أغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

قال السيوطي: " وأتى في قوله: (رحلوا) بضمير الجمع، وإن كان المحدث عنه إنما هو سعادٌ فقط؛ إشارة إلى أنها رحلت مع قومها، ويحتمل أنه قصد تعظيمها، فعبر عنها بلفظ الجمع ". [3]

٥ـ وضع الخبر موضع الإنشاء: **لا شك أن مجيء الإنشاء في صيغة الخبر يعد صورة من صور البلاغة الراقية؛ لأنه يستتبعه دلالات نفسية دقيقة، فهو يوحي بشغف النفس ورغبتها وتعلقها في تحقق المعنى الذي تحمله تلك الصيغة حتى كأنه واقع فعلًا، " وهذه الخصوصية في هذا الضرب من التعبير خصوصية جليلة وافية بحاجة النفس، وأشواق الروح، وكأنها واحدة من الأحوال الروحية الداخلية في تركيب هذه اللغة ". [4]**

وقد أدرك السيوطي أبلغية هذا العدول حين يُوظَّف في المقام المناسب، فقال تعليقًا على قول كعب:

٣٩ـ مهلًا هداك الذي أعطاك نافلةَ الـ ∴ ـقرآن فيه مواعيظُ وتفضيلُ

---

[1] **كنه المراد، ص٣١٤.**

[2] **السابق، ص٣١٥.**

[3] **نفسه، ص١٣٩.**

[4] **قراءة في الأدب القديم، د/ محمد أبو موسى، ص٣١٣.**

" وقولـه: (هداك الذي أعطاك نافلة القرآن) دعاء للنبي ε ، وإن كـان لفظـه علـى الماضي، كما تقول: ε ، وهو أبلـغ من صيغة الطلب ". [1] ويبين السر فـي هذا العدول، بقولـه: " وذلك لاستعطافه لـه بذكر مـا امتن الله عليـه بـه من إعطائـه القرآن الكريم المشتمل على الأوامر والنواهي وتفصيل الأحكام؛ ليكون أدعى إلـى العفو والشكر لنعمة الله تعالى ". [2]

---

[1] كنه المراد، ص٣٥٥.

[2] السابق، ص٣٥٦.

المحور الثالث: بلاغة الجمل

من منهج السيوطي في تحليل (بانت سعاد) النظر في بلاغة الجمل وطرائق صوغها، وعلاقاتها ببعضها- ترتيبًا وتركيبًا- وقد أشرت في مبحث النظم الترتيبي بين الجمل إلى بعض هذه العلائق المعنوية، وسوف أركز هنا على بعض الإشارات التي وردت عند السيوطي في إبراز بلاغة الجمل، ومنها:

أولًا: الفصل: **ومن شواهده ما ورد في قول كعب:**

١٠- فَلا يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ ∴ إنَّ الأَمَانِيَّ وَالأَحْلامَ تَضْلِيلُ

وقد بيَّن السيوطي السر البلاغي في الفصل بين الجملتين فقال: " وقوله: (إن الأماني والأحلام تضليل) بكسر الهمزة في (إنّ) تعليل لقوله: (فلا يغرنك ما منت وما وعدت) "[1]، وهذا ما يسمى عند جمهور البلاغيين بالاستئناف البياني أو شبه كمال الاتصال، حيث إن الجملة الأولى اقتضت سؤالًا يحتاج إلى جواب، لذا تولدت منها الجملة الثانية وجاءت جوابًا لهذا السؤال، فوقع الترابط والتعالق بين الجمل.

ثانيًا: الإطناب: **وضع السيوطي يده على بعض صور الإطناب، وأبان عن بلاغتها ودورها في المعنى، ومن هذه الصور:**

١- التكرار: **وقد اهتم السيوطي كثيرًا بإبراز بلاغة (التكرار المعنوي) ونصَّ على مواقعه في النص، وكشف عن تناسبه وعدم تعارضه، نظرًا لما يؤديه التكرار المعنوي في تشكيل الصورة من تأكيد للمعنى، أو تكامل في الوصف، أو استيفاء**

---

[1] **كنه المراد، ص٢٢٩.**

لأجزاء الصورة الفنية. [١]

ففي سياق وصف الناقة لاحظ السيوطي أن هناك أوصافًا تكررت عند الشاعر، لكنه أدرك أن هذا التكرار المعنوي للأوصاف جاء مناسبًا، ومن ثَمَّ وجه السيوطي هذا التكرار توجيها يتلاءم مع السياق الجزئي وحال الموصوف، ففي قول كعب:

٢٠ـ حرفٌ أخوها أبوها من مهجنةٍ ∴ وعمُّها خالها قوداءُ شملیلُ[٢]

وجَّه السيوطي التناسب في تكرار الوصف الدال على الخفة والسرعة في قوله: (شمليل)، وقوله: (النجيبات المراسيل)، فقال: " فإن قيل: قد ذكر وصف الخفة والسرعة بقوله: (النجيبات المراسيل) على ما تقدم، ثم أعاده هنا بقوله: (شمليل)... الجواب: أنَّ ذِكْرَ السرعة أولًا راجع إلى الوصف العام، حيث قال:

أمست سعاد بأرض لا يبلغها ∴ إلا العتاق النجيبات المراسيل

وذكَرَه هنا مقصورًا على هذه الناقة المخصوصة، وكيف ما كان، فالخفة والسرعة هي المطلوبة في الناقة لهذه الحالة، إذ الغرض سرعة توصله إلى محبوبته مع بُعد مسافة ما بينه وبينها ". [٣]

فالداعي إلى التكرار المعنوي للوصف هو اختلاف الموصوف تعميمًا أو تخصيصًا.

وقد يكون المسوغ للتكرار المعنوي هو التأكيد على (المقصد الأعظم)

---

[١] راجع: مقدمة كنه المراد، ص٦٧.

[٢] قوداء: طويلة الظهر والعنق. شمليل: خفيفة سريعة. [كنه المراد ص٢٨٥] .

[٣] كنه المراد، ص٢٨٦ ـ ٢٨٧.

من وصف الإبل، لاسيما إذا انضم إلى ذلك اختلاف الألفاظ وتناسبها في مواقعها، ومن ذلك قول كعب:

٢٢- عيرانةٌ قذفت بالنحض عن عُرُضٍ ∴ مرفقُها عن بنات الزور مفتولُ

قال السيوطي: " ومعنى البيت: أن هذه الناقة تشتمل على ثلاث صفات تكون في الإبل المحمودة: الصفة الأولى: شدة الصلابة (عيرانة) بحيث إنها تشابه حمار الوحش في قوتها وصلابتها... وقد تكرر له وصف الصلابة في الناقة في غير موضع، إلا أنه بألفاظ مختلفة، فحسن التكرار في موقعها، وقد يريد بذلك التأكيد، فإن هذا الوصف هو المقصد الأعظم من الإبل على ما تقدم ذكره قبل ذلك ". [١]

وأرى أن مقصود السيوطي من قوله: (بألفاظ مختلفة) في النص السابق، أي: بأساليب بلاغية مختلفة، أو نظم مختلف، فالدلالة على معنى الصلابة في هذا البيت فُهِمت من تشبيه الناقة بالحمار الوحشي، أما في غيرها من المواقع فقد دلَّ عليها بالوصف المجرد، كما فى قوله:

غلباء وجناء علكوم مذكرة ∴ ..... البيت.

٢- الإيغال: [٢] **وهو من صور الإطناب التي أبان السيوطي عن بلاغتها، ومنه شواهده قول كعب:**

١- بانتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ ∴ مُتَيَّمٌ إثْرَهَا لم يُفْدَ مَكْبُولُ

قال السيوطي: " العارض الرابع: التقييد، وهو المراد بقوله: (مكبول)، وذلك أنَّ فيه تأكيدًا بعدم الخلاص، إذ الأسير إذا كان عريًا عن القيد ربما أمكنه

---

[١] كنه المراد، ص٢٩٢.

[٢] الإيغال: ختم البيت بما يفيد نكته يتم المعنى بدونها. [الإيضاح ٢٠٢/٣ تحقيق: خفاجي].

الهرب إذا اختار الفراق، فإذا كان مقيدًا ضعفت قوته، وقلت حيلته، وأيضًا فإن في القيد زيادة مذلةٍ وإهانة ". [١]

ومنه قول كعب:

١٥ـ مِن كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إذا عَرِقَتْ ∴ عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأعْلامِ مجهُولُ

قال السيوطي: " والطامس الأعلام: المراد به الطريق الذي مُحِيَت آثاره، والأعلام: العلامات التي يُستدل بها على الطريق من أثر مشي وغيره، و(المجهول): الذي لا يُعْرَف، وهو تأكيد لقوله: (طامس الأعلام) فمجهولٌ ضرورة " [٢].

٣ـ التذييل: [٣] **ومن شواهده، قول كعب:**

١١ـ كَانَتْ مَوَاعِيْدُ عُرْقُوبٍ لها مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إلا الأباطِيلُ

قال السيوطي: " ومعنى البيت: أن هذه المرأة اشتهرت بإخلاف الوعد، كما اشتهرت به عرقوب، فصارت شبهًا له في ذلك، حتى لو ضُرب بها المثل كانت جديرة به، ثم إن أُنشد (وما مواعيدها) على الرواية المشهورة؛ كان ذلك تأكيدًا لإخلافها الوعد، فإنه بعد أن ضرب عرقوبًا مثلًا في الإخلاف، ذكر أن مواعيدها باطلة لا حقيقة لها، ولم يكن يضربُ المثل حتى وصف مواعيدها بالأباطيل، فكانت أسوأ حالًا في المَطْلِ والإخلاف منه " . [٤]

---

[١] **كنه المراد، ص١٣٣، ١٣٤.**

[٢] **السابق، ص٢٦٣.**

[٣] **التذييل: هو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد [الإيضاح ٣/٢٠٥ تحقيق: خفاجي] .**

[٤] **كنه المراد، ص٢٤٠.**

المحور الرابع: بلاغة الصورة البيانية

أولًا: التشبيه:

اهتم السيوطي اهتمامًا واضحًا بتحليل الصور التشبيهية التي وردت في (بانت سعاد) وكشف عن أبعادها الجمالية من خلال إبراز بلاغة القيود والتفصيلات، وأسرار الانتقاء لعناصر التشبيه، ففي قول كعب:

٢ـ وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إلا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

لم يكتف السيوطي كغيره من الشراح بالإشارة المقتضبة لموضع التشبيه، وإنما يرقى إلى مستوى التأويل الفني الذى يكشف عن الظلال الإيحائية العميقة للتشبيه، فنراه في هذه الصورة يكشف عن منزع التشبيه وسر اختيار الشاعر للمشبه به، فيقول: " وخص التشبيه بالظبي جريًا على عادة العرب في التشبيه بها؛ لمخالطتهم بها بواسطة سكناها الفلوات، وبطون الأودية، إذ كل أحد إنما يقع له التشبيه بما في خزانة خياله، ألا ترى إلى تشبيهات ابن المعتز في شعره، إنما هي باللآلئ والياقيت وأصناف الجواهر، وتشبيهات العرب إنما هي بالشيح والقيصوم وأزهار البادية وما شاكل ذلك"[١]

ثم يقرر أصلًا مهمًا ودقيقًا في اختيار المشبه به، فيقول: " واعلم أن التشبيه بالظباء إنما هو من استحسانها في جنس الوحش، لا أنها أحسن من الآدمي في نفس الأمر، قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) [٢]، وقال عز وجل: (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) " [٣] .

---

[١] كنه المراد، ص١٤١.

[٢] التين / ٤.

[٣] غافر / ٦٤.

ويبرز السيوطي كذلك أثر القيد بالوصف في جانب المشبه به، فيقول: " ثم لمَّا شبهها بالظبي وصفه بثلاث صفات تستحسن في الظبي: الصفة الأولى: الغنة في الصوت، وهو ما يُلْتذ بسماعه... الصفة الثانية: غض الطرف، فإن حملناه على كسر الجفون وفتورها كان ذلك من باب الزيادة في الحسن والجمال... وإن حملناه على الحياء والخفر، كان أبلغ في ذلك إذ الحياء مما يمتدح به عقلًا وشرعًا... الصفة الثالثة: سواد العيون، وهو المراد بقوله: (مكحول)، فإن جعلناه من الكحل الذى هو سواد جفون العينين من غير تكحل، فهو في غاية المدحة لاستغنائه عن التكحيل " . [1]

كما نراه يبرز بلاغة القيد في جانب (المشبه)، فيقول: " فإن قيل: لم خص تشبيهها بالظبي بحالة الرحيل [غداة البين] فالجواب من وجهين: الأول: يحتمل أنه أشار بذلك إلى صفة رابعة مما يمتدح بها، وهي أنها كانت مخدرة لا ترى لاختبائها وإنما توصل إلى رؤيتها عند الرحيل لاقتضائه البروز من الخباء والخروج من الخدر، فكان ذلك أول وقوع بصره عليها... الثاني: يحتمل أن يكون خص تشبيهها بالظبي بحالة الرحيل مبالغة في حسنها، فإن الشخص عند الرحيل يكون في أرث حالاته مع ما ينضم إلى ذلك من التأثر بفراق الوطن خصوصًا إذا كان مع فراق حبيب، وتوديع صديق " . [2]

وينص السيوطي كثيرًا على وجه الشبه، والمقصد من التشبيه، ومنه ما ورد في قول كعب:

---

[1] كنه المراد، ص١٤٢، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨.

[2] السابق، ص١٤٩، ١٥٠.

٩ـ ولا تُمسِكُ بالعَهْدِ الَّذِي زَعَمَتْ ∴ إلا كَما يُمْسِكُ الماءَ الغَرَابِيْلُ

فيقول: " شبَّه إمساكها للعهد كإمساك الغربال للماء، إذ الماء بمجرد وضعه فيه يخرج منه؛ مبالغة في النقض والنكث وعدم الوفاء ". [١]

ولا تقتصر نظرة السيوطي الذوقية على تحليل التشبيهات الجزئية البسيطة، وإنما يعتني كذلك بتحليل الصور التشبيهية الممتدة والمتنامية، ويجلى فيها بلاغة القيود والتفصيلات التي استطرد إليها الشاعر قصدًا، ففي قول كعب يصف الناقة:

٢٨ـ كأنّ أوب ذراعيها إذا عرقت ∴ وقد تلفّع بالقور العساقيلُ

٢٩ـ يومًا يظلُّ به الحرباءُ مصطخدًا ∴ كأن ضاحيهُ بالشمسِ مملولُ

٣٠ـ وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ∴ وُرقُ الجنادب يركضن الحصى قيلوا

٣١ـ شدَّ النهَّارُ ذراعا عيطلٍ نصفٍ ∴ قامت فجاوَبَهَا نُكَدٌ مثاكيلُ

٣٢ـ نوَّاحةٌ رخوةُ الضّبعين ليس لها ∴ لما نعى بِكرَهَا النّاعون معقولُ

٣٣ـ تفري اللبَانَ بكفيها ومدرعها ∴ مشقّقٌ عن تراقيها رعابيلُ

أدرك السيوطي أنها صورة متنامية ومركبة، فَصَلَ الشاعرُ بين طرفيها بألوانٍ من القيود والتفصيلات المقصودة، كالحال، والوصف، وغيرهما؛ للمبالغة في صورة المشبه، فقال: " قوله (كأن أوب ذراعيها إذا عرقت) إلى آخر قوله في البيت الحادي والثلاثين: (ذراعا عيطل نصف ... البيت) وسيأتي هناك أن المراد من التشبيه: الإسراع بحركة ذراعيها في السير ". [٢]

---

[١] كنه المراد، ص٢٢٠.

[٢] كنه المراد، ص٣١٣.

ثم قال بعد ذكر البيت الحادي والثلاثين:

٣١ـ شدَّ النهَّارُ ذراعًا عيطلٍ نصفٍ .·. قامت فجاوَبَهَا نُكَدٌ مثاكيلُ

" وقوله: (ذراعا عيطل) هو خبر كأن في قوله في البيت الثامن والعشرين: (كأن أوب ذراعيها إذا عرقت)... والمعنى: أن ذراعيها في سرعة السير كذراعي امرأة طويلة قامت تلطم وجهها لشدة حزنها على ولدها، فجاوبها نسوة فقدن أولادهن، وذلك أنها إذا رأت حزن غيرها على ولدها، وشدة ما عليه من اللطم، اشتد فعلها، وقوى ترجيع يديها عند النائحة، وهذا التشبيه في غاية الحسن " . [١]

ولا يترك السيوطي قيدًا أو تفصيلًا في هذه الصورة الممتدة، إلا وأبان عن بلاغته ودوره في بناء الصورة، سواءً كان هذا القيد يعود إلى المشبه أم إلى المشبه به.

واستقصاء كلام السيوطي للكشف عن بلاغة القيود والتفصيلات في هذه الصورة يتعذر لكثرته، وسأذكر بعضًا مما ورد منها في جانب المشبه به.

فنراه يبين بلاغة القيد بالوصف في قوله: (عيطل ـ نصف) فيقول: " فإن قيل ما المعنى في وصفها بالطول في قوله: (عيطل) وبالتوسط في السِّنِّ في قوله: (نصفٍ)؟ الجواب: أن الطويلة تكون أطول ذراعًا، فتكون أوسع خطوة، فإذا وافقها سرعة الحركة مع ذلك، كان في غاية الإسراع، وأما التوسط في السِّنِّ فإنه حين اكتمال قوتها، وبلوغ أشدها، وتمام قامتها، إذ تكون قد

---

[١] السابق، ص٣٢١ ـ ٣٢٢.

انتهت في الطول؛ فتكون أمدَّ للخطوة وأمكن للسرعة ". [١]

ويبين كذلك بلاغة القيد بالأوصاف التي تعود على المشبه به في البيت الذي يليه:

٣٢ـ نوَّاحـةٌ رخـوةُ الضّـبعين لـيس لهـا ∴ لمـا نعـى بِكرَهَا النّـاعون معقـولُ

فيقول: " ومعنى البيت: أن هذه المرأة التي شبه ذراعي الناقة في سرعة الحركة بذراعيها، نواحة... وقد وقع المبالغة في أربعة أوجـهٍ: أحدها: أن صيغة (نواحـة) مبالغة مقتضية لكثرة النـوح. الثـاني: أن الرخـوة الضبعين أسـرع حركـة من غيرها. الثالث: أن ولدها المنعي إليها هو بكرها وأعز أولادها. الرابـع: أنـه نُعى إليها وجاءها خبره من بعد، ولم تكن ممرَّضةً له فتتسلى بتمريضه ". [٢]

ثانيًا: المجاز اللغوي:

١ـ المجاز المرسل: وقد أشار السيوطي إلى بعض مواضعه، وعلاقاتـه، ومنهـا مـا ورد في قول كعب:

١ـ بانـتْ سُـعَادُ فَقَلْبِـي اليَـوْمَ مَتْبُـولُ ∴ مُتَــيَّمٌ إِثْرَهَــا لــم يُفْـدَ مَكْبُــولُ

قال السيوطي: " واليـوم فـي قولـه (فقلبـي اليـوم)، المراد بـه هنـا مطلـق الزمان، كما في قولـه تعالى: (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) [٣]، وقولـه: (يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بنصرالله) [٤] ونحو ذلك ". [٥]

---

(١) كنه المراد، ص٣٢٢، ٣٢٣.

(٢) السابق، ص٣٢٦.

(٣) الأنعام / ١٤١.

(٤) الروم / ٤– ٥.

(٥) كنه المراد، ص١٢٠.

ومن مواضعه أيضًا، ما ورد في قول كعب:

١٧ــ ضــخمٌ مُقلــدها فَعــمٌ مُقيــدها ∴ في خلقها عن بنات الفحل تفضيلُ

قال السيوطي: " والمقلد: موضع القلادة من العنق، ويجوز أن يريد جميع العنق تشبيهًا للكل باسم الجزء، ويؤيده قوله في البيت الذى يليه: (غلباء)، فإن المراد بها الغليظة العنق " .[١]

ومما ورد من المجاز المرسل، وعلاقته اعتبار ما سيؤول إليه، قول كعب:

٣٤ـ تسعى الوشاةُ جنابيها وقولهُمُ ∴ إنك يا ابن أبي سلمى لمقتولُ

قال السيوطي: " والمراد بقوله: (لمقتول) أي: لصائر إلى القتل، كما في قوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) [٢] أي: لصائرون إلى الموت ". [٣]

٢ـ الاستعارة: **ولم يتوقف السيوطي معها طويلًا مثل التشبيه، وإنما أشار إليها إشارات سريعة، ولعل هذا راجع إلى قلة مواضعها في القصيدة، وإلى كونها لم تكن أسلوبًا مقصودًا لذاته في التعبير عن المعاني المرادة. ومن مواضعها قول كعب:**

١٦ـ ترمي الغُيُوب بعيني مفردٍ لهقٍ ∴ إذا توقدت الحُزَّازُ والميلُ[٤]

---

[١] السابق، ص٢٧١.

[٢] الزمر / ٣٠.

[٣] كنه المراد، ص٣٣١.

[٤] المفرد: الثور الوحشي الذي انفرد عن أنثاه. واللهق: الأبيض. الحزاز: الغليظ الصلب من الأرض. الميل: ما تراكم من الرمل. [كنه المراد، ص٢٦٧].

قال السيوطي: " والتوقد، المراد به هنا: اشتداد الحر تشبيهًا له بتوقد النار ". [1]

ثالثًا: الكناية:

تعد الكناية من أكثر الصور البيانية ورودًا في (بانت سعاد)، وقد توقف السيوطي عند هذه المواضع مبينًا لازم المعنى المراد... وقد أشرت إلى بعض هذه المواضع في المبحث الأول من الدراسة عند الحديث عن (معنى المعنى).

واللافت للنظر أن السيوطي لم يستخدم مصطلح (الكناية) رغم كثرة المواضع التي أشار فيها إلى لازم المعنى المراد من ظاهر اللفظ، وإنما كان يستخدم تعبيرات بديلة تدل على الكناية مثل: (والمراد كذا...)، أو: (والمعنى المقصود كذا...) أو (ويكون بذلك قد وصفها بثلاثة أوصافٍ...) إلى غير ذلك.

ولعل هذا راجع إلى منهجه التذوقي الذي يُعْنَى بالكشف عن جماليات الأسلوب، وأثره في بيان المعاني المرادة، دون الاهتمام كثيرًا بالنص على المصطلح البلاغي، لاسيما وأن السيوطي من المتأخرين الذين استقرت لديهم هذه المفاهيم والمصطلحات.

ومن شواهد الكناية عن صفة، ما ورد في قول كعب:

٢١ـ يمشي القرادُ عليها ثم يُزلقُهُ ∴ منها لبانٌ وأقرابٌ زهاليلُ [2]

قال السيوطي: " ومعنى البيت: أنَّ جلد هذه الناقة في غاية الملاسة لسمنها، بحيث إن القراد لا يثبت عليها بل إذا وقع على جسدها زلق وسقط

---

[1] **كنه المراد، ص٢٦٧.**

[2] **اللبان: الصدر. والأقراب: الخواصر. الزهاليل: المُلْسُ. [كنه المراد، ص٢٨٩]**

عنه، وذلك مما يستحسن في أوصاف الإبل ". [1] ، فالسيوطي ـ كما ترى ـ ذكر لازم المعنى المفاد من البيت، ونصَّ على الصفة المرادة من الكناية، وهي (الملاسة) دون أن يستخدم مصطلح (كناية).

ومن شواهد الكناية عن موصوف، ما ورد في قول كعب:

٣٧ـ كلُّ ابن أنثى وإن طالت سلامتُهُ يومًا على آلةٍ حدباءَ محمولُ

قال السيوطي: " والمراد بالآلة الحدباء: النعش ". [2]

ومما ورد من الكنايات في سياق مدح الرسول ε قوله:

٤٣ـ حتى وضعتُ يميني لا أُنازِعُهُ ∴ في كفِّ ذي نقماتٍ قيلُهُ القيلُ

حيث ذكر السيوطي أن المقصد المراد من قوله: (حتى وضعت يميني لا أنازعه) هو " الدخول تحت أمره والانقياد لطاعته " [3]، والمقصد المراد من قوله: (ذي نقماتٍ) هو " شدة السطوة وقوة البأس على الكفار، والإغلاظ لهم في القول وعدم الضراعة لهم، ائتمارًا بأمره تعالى حيث قال: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) [4] . ولازم المعنى المراد من قوله: (قيله القيل)، هو " أن أمره نافذ، وقوله ثابت لا يتغير ". [5]

ومن الكنايات التي وردت في سياق مدح الصحابة، قول كعب:

٥٧ـ لا يقعُ الطعنُ إلا في نُحُورِهِمُ ∴ وما لهُم عن حياضِ الموتِ تهليل

---

[1] كنه المراد ص٢٨٩.

[2] السابق، ص٣٤٣.

[3] نفسه، ص٣٧٥.

[4] كنه المراد، ص٣٧٦ والآية من سورة التوبة /٧٣

[5] السابق، ص٣٧٣.

قال السيوطي: " وصفهم بأنهم لا ينهزمون فيقطع الطعن في ظهورهم، بل يقدمون على أعدائهم فيقطع الطعن في نحورهم" . [1]

[1] **نفسه، ص٤٢٥.**

المحور الخامس: بلاغة الألوان البديعية

أشار السيوطي إلى بعض الألوان البديعية التي وردت في (بانت سعاد) ومنها:

أولًا: المبالغة: **ومن شواهدها، قول كعب في وصف الناقة:**

١٨ــ غلباءُ وجناء علكومٌ مذكرةٌ ∴ في دفها سعةٌ قدّامها ميلُ[١]

قال السيوطي: " قوله: (قدامها ميل) يحتمل معنيين: أحدهما: أن يريد طول العنق وأن عنقها مدُّ ميلٍ؛ للمبالغة في طوله... الثاني: أن يريد به سعة الخطو، وأن مقدار خطوتها مدُّ البصر ". [٢]

ثانيًا: اللف والنشر: **وقد ورد في قول كعب:**

١٠ــ فَلا يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ ∴ إنَّ الأَمَانيَّ وَالأَحْلامَ تَضْلِيلُ

قال السيوطي: " ولما نهى عن الاغترار بما تُمَنِّيه وما تعده أكد ذلك بقوله: (إن الأماني والأحلام تضليل)، بمعنى أن الأماني راجعة إلى قوله: (ما مَنَّتْ) والأحلام راجعة إلى قوله: (ما وعدت)، ويكون من باب اللف والنشر، الأول للأول والثاني للثاني " [٣].

---

[١] غلباء: غليظة العنق. وجناء: عظيمة الوجنتين وهما طرفا الخد. العلكوم: الشديدة. دفها: جنبها [كنه المراد ، ص٢٧٥] .

[٢] كنه المراد، ص٢٧٧.

[٣] السابق، ص٢٣١.

ثالثًا: الرجوع والنقص: [١] **ومن شواهده، قول كعب:**

١٢ـ أَرْجُو وآمُلُ أنْ تَدْنُو مَوَدَّتُها ∴ وَمَا إخَالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تَنْوِيلُ

قال السيوطي: " لماَّ وصفها بأوصاف القطيعة والجفاء من أول البيت السابع إلى آخر البيت الحادي عشر، على ما تقدم بيانه في مواضعه، أخذته دهشة المحبة فذهل عما هي عليه من ذلك، فتعلق بالرجاء، وجنح إلى الأمل فقال: (أرجو وآمل أن تدنو مودتها) إذ لا يليق بالشخص أن يقطع رجاءه من مطلوبه... ثم آب إلى عقله فتذكر ما هي عليه من الأوصاف المخالفة لذلك، فقال: (وما إخال لدينا منك تنويل)، وهذا النوع يسمونه أهل البديع: الرجوع؛ لأنه يرجع إلى كلامه السابق بالنقض، كقول ابن الطثرية: [٢]

أليس قليلًا نظرةٌ إن نظرتها ∴ إليك ولكن ليس منكِ قليلُ

فإنه أولًا استقل النظرة ثم تذكر أن ذلك ذهول منه، حيث عدَّ النظرة من محبوبته قليلًا، فقال: وليس منكِ قليلُ ". [٣]

ولا مانع أن يكون الجمع بين الرجاء والنفي في هذا البيت من (تأليف المختلف)، وهذا يناسب حال كعب بن زهير ونفسيته المضطربة التي تخشى من إهدار النبي ε لدمها وتخلى الأصدقاء عنه.

---

[١] عرفه ابن المعتز بقوله: (وهو أن يقول شيئًا ويرجع عنه)، وعرفه النويري بقوله: (أن يعود المتكلم على كلامه السابق بالنقض لنكتة). [راجع: البديع لابن المعتز، ص١٥٤، ونهاية الأرب ٧ / ١٤٤].

[٢] ابن الطثرية: هو يزيد بن الصمة، ينتهي نسبة بعامر بن صعصعة، والطثرية أمه. [راجع : الشعر والشعراء ٤١٧/١، وكنه المراد ، ص٢٤٦] .

[٣] كنه المراد، ص٢٤٥، ٢٤٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من خُتمت به النبوات والرسالات، وعلى آله وصحبه أهل البر والخيرات.

وبعـد:

فمـن خـلال هـذه الجولـة المتأنيـة التـي عايشـتها الدراسـة – توصـيفا وتحليلا– لمنهج السيوطي في شرحه وتذوقه لقصيدة (بانت سعاد)؛ يكفينا أن نسجل النتائج الآتية:

أولا: ردًّا البحث ردًا عمليا على من يتهمون بلاغة السيوطي بالجمود والعقم والتقليد، وأثبت البحث بُطْلان هذه الأراجيف والدعاوى الماكرة التي تنال من تراثنا وأئمتنا، فقد كشف البحث عن رؤية السيوطي المتكاملة في تحليل النص الشعري، ومنهجيته المنضبطة في استيعاب المعالم الكاشفة عن المقاصد المرادة، وتطبيقاته البلاغية الواعية لخصائص النظم، وتذوقه الرائق لأسرار النص وجمالياته.

ثانيا: حدد البحث المعالم الرئيسة لمنهج السيوطي في تذوق بلاغة النص الشعري، وتمثلت في الآتي:

١. التأويل الدلالي والتوسع في المعاني؛ للكشف عن المعاني المغيبة والمقاصد البعيدة في النص.

٢. إبراز التناسب الترتيبي بين أجزاء النص ومكوناته؛ لإثبات ترابطه وتلاحمه وترتيب معانيه في نفس قائلها قبل نظم مبانيها.

٣. إبراز بلاغة النظم التركيبي من خلال التذوق البياني الرائق لمفرداته

وجمله، وأساليبه، وصوره.

ولا شك أن السيوطي مجدد ومبدع في هذا المنهج؛ حيث إنه استفاد من خبرته الموسوعية، وثقافته المتنوعة، فأضاف إلى مناهج تحليل الشعر معالم جديدة لم تكن عند غيره من الشراح، مثل: (التأويل الدلالي) و (التناسب البياني).. وهذه المعالم أكسبت التحليل شمولية في النظرة، وعمقا في المعالجة والتناول، تستحق أن تمثل رؤية جديدة في تذوق النصوص.

ثالثاً: اتسم منهج السيوطي في تذوقه للنص الشعري بعدة سمات يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

١. **الاعتدال في تأويل النص.. فالسيوطي لم يتوسع في تأويل عناصر النظم لدرجة الإغراق، ولم يقتصر على الدلالة المعجمية الظاهرة التي تؤدي إلى الإجحاف، وإنما سعى بذوقه وحسه إلى استكناه المعاني المرادة، أو المقاصد المغيبة في النص معتمداً على ضوابط ضرورية، أهمها: احتمال اللفظ أو العبارة للتأويل نظراً لقوة نظم الشاعر ودقة صنعته.. وهذا الفهم المنضبط عصم منهج السيوطي في هذا الباب من الإغراق، أو الإجحاف.**

٢. **المزاوجة في تذوق بلاغة النص الشعري بين النَظْرَتَيْنِ: (الكلية، والجزئية).. فالسيوطي كما وضحنا تفصيلاً في المبحثين: الثاني والثالث، تنوعت نظرته في معالجة النص، حيث نظر إلى القصيدة نظرة كلية عن طريق إبراز السبك والتلاحم والتناسب بين معاقدها وأجزائها، ونظرة ثانية جزئية عن طريق التذوق**

البياني للنظم التركيبي وبناء المفردات والجمل والصور.. ولا شك أن هذه الثنائية المنهجية في تذوق النص الشعري أدعى إلى كشف بلاغته وجمالياته.

٣. نوَّع السيوطي في توظيف أدوات التحليل الشعري للنص، حيث مزج بين القاعدة البلاغية، والنحوية، والدلالة المعجمية، وعادات العرب وعقائدهم..... الخ. ولا شك أن هذا التنوع في الأدوات أثرى التحليل، وأكسبه عمقاً، واستحساناً لدى القارئ.

٤. يمكن القول-بحيدة وموضوعية- أن منهج السيوطي في تذوق (بانت سعاد) منهج ذاتي في الغالب الأعم، ولم يتأثر بالشراح السابقين سيما ابن هشام، إلا في مواضع جزئية معدودة نص عليها السيوطي نفسه في الشرح، وقد أشرت إلى بعضها في ثنايا البحث.

وفي الختام: أسأل الله أن ينفع بهذا البحث، وأن يكتب له القبول، وأن يجزي الإمام السيوطي خير الجزاء على ما قدم للتراث الإسلامي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،
وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

٢. الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، د: محمود توفيق سعد، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٣. الإمتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي، تحقيق: هيثم خليفة الطعيمي، ط: المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

٤. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط: دار الجيل، بيروت، ط (٣).

٥. بدائع الفوائد لابن القيم، تحقيق: علي بن محمد العمران، ط: مجمع الفقه الإسلامي، جدة.

٦. بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د: منير سلطان، ط: منشأة المعارف بالإسكندرية.

٧. البديع لابن المعتز، ط: دار الجيل، بيروت، ط (١) ١٩٩٠م.

٨. بيان إعجاز القرآن للخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ط: دار المعارف بمصر، ط (٣) ١٩٧٦م.

٩. التأويل وأداؤه الوظيفي، د: عماد عيد، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العدد (٦) ٢٠٠٧م.

١٠. التحدث بنعمة الله للسيوطي، تحقيق: إليزابث ماري سارتين، مطبعة: جامعة كمبردج ١٩٧٢م .

١١. تحرير التحبير لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: د. حفني محمد شرف، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٩٥م.

١٢. التناسب في تفسير الإمام الرازي دراسة في أسرار الاقتران، د. منال مبطي المسعودي، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠١٠م.
١٣. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤. الخصائص لابن جني، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٥. دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، ط: مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة، ط (٣) ١٩٩٢م.
١٦. سنن ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط: دار الرسالة العالمية، ط (١) ٢٠٠٩م.
١٧. شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ط: المقدسي، مصر.
١٨. شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام النحوي، تحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، ط: المكتبة الإسلامية بالقاهرة، ط (١) ٢٠١٠م.
١٩. شروح التلخيص، مطبعة السعادة بمصر، بدون تاريخ.
٢٠. الشعر والشعراء لابن قتيبة، ط: دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان.
٢١. الشمائل المحمدية للترمذي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٢. طبقات فحول الشعراء لابن سلام، تحقيق: محمود شاكر، ط: دار المدني بجدة.
٢٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار الجيل، بيروت، ط (٥) ١٩٨١م.
٢٤. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، ط: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
٢٥. قراءة في الأدب القديم، د. محمد أبو موسى، ط: دار الفكر العربي، ط: أولى.
٢٦. قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي، د. السيد إبراهيم محمد، ط: المكتب الإسلامي بدمشق، ط (١) ١٩٨٦م.

٢٧. كنه المراد في بيان بانت سعاد للسيوطي، تحقيق: د. مصطفى عليان، ط: مؤسسة الرسالة، ط (١) ٢٠٠٥ م.
٢٨. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، للشيخ نجم الدين الغزي، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط (٢) ١٩٧٩ م.
٢٩. لسان العرب لابن منظور، ط: دار صادر، بيروت، ط (٣) ١٤١٤هـ.
٣٠. المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري المالكي، تحقيق: أبو عبيدة آل سلمان، ط: دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ .
٣١. المطول لسعد الدين التفتازاني، مطبعة: أحمد كامل، بدون تاريخ.
٣٢. معاني القرآن وإعرابه للزجاج تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط: عالم الكتب، بيروت، ط (١) ١٩٨٨م.
٣٣. منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (٣) ١٩٨٦م.
٣٤. نظم الدرر للبقاعي، ط: دائرة المعارف العثمانية، الهند.
٣٥. نهاية الإرب في فنون الأدب للنويري، ط: دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط (١) ١٤٢٣هـ .